جذور الشعر السياسي

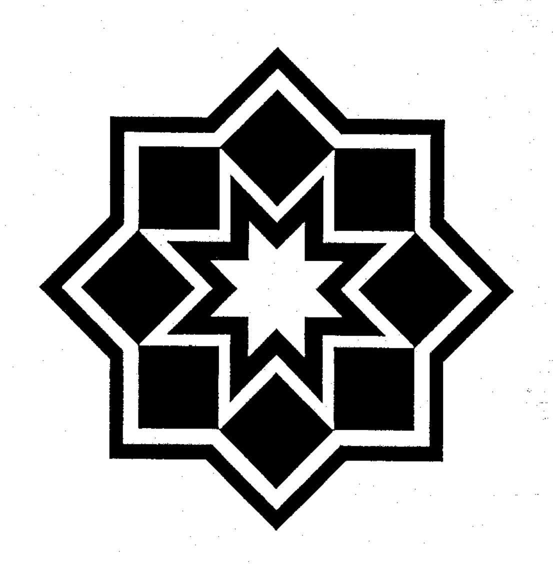
عند نزار القباني

الجزء الأول

الدكتور

فاضل محمد عبد الله الزبيدي





المقدمة

لم يوجد شاعر من الشعراء العرب المعاصرين شغل الناس قراء ونقاداً مثل نزار قباني شغلهم قديماً وشغلهم حديثاً .. شغلهم وهو شاعر الغزل والمرأة وشغلهم وهو شاعر السياسة والمقاومة وكأنه يقول كما قال قديماً الشاعر العربي الكبير أبو الطيب المتنبي :

تنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر القوم جراها ويختصم

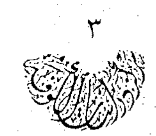
تغزل نزار في المرأة فعبر عما خجلت وأحجمت أن تغير عنه خواطر ومشاعر جمالها وزينتها وملابسها ومتعلقاتها وأشياءها الصغرى والكبرى ونقل إليها عين القارئ تتلصص عليها من ثقب الباب فتراها كاسية وعارية وتنصت عليها في غفلة عنها فسمع حديثها وسرها وهمسها وآهاتها وعرى حتى ما تخجل المرأة من إظهاره من شبق ولذة وشذوذ حنسي مما لا يروق للكثيرين او الكثيرات التعبير عنه او حتى التلميح به.

وبدعوى – تحرير المرأة استبعدها نزار لرغباته وشهواته ونزواته.

وعندما وقعت نكسة ١٩٦٧م واهتز العالم العربي بفعل زلزالها الرهيب اصدر نزار قباني قصيدته ((هوامش على دفتر النكسة)) التي كانت منشوراً سياسياً أصدرته المعارضة العربية لتكون صرخة في وجه الحكام العرب والممارسات العربية الخاطئة والواقع العربي المرير والفكر العربي المتخلف وكل الأسباب التي أفرزت النكسة . . لقد كانت ((هوامش على دفتر النكسة)) رسالة صريحة موجهة إلى عبد الناصر فيها من الغضب والسباب والهجاء السياسي اكثر مما فيها من القيمة الادبية والشعرية حتى عندما اراد نزار ان يهاجم رجل الشارع العربي أو الإنسان العربي بصفة عامة اتجه بهجومه وهجائه إلى عبد الناصر لأنه لم يعرف غيره زعيماً ولا صديقاً ولا أخا ولا أبا ولا مسؤولاً يتوجه إليه بالخطاب السياسي .

وعندما مات جمال عبد الناصر وجه إليه نزار أربع قصائد رثاء وكأنها رسائل إليه في مثواه الأخير.. يعاتب العرب على جرمهم الشنيع في حق الزعيم الذي نذر حياته من أجلهم وكيف انهم تعاملوا معه بنقائصهم وتخلفهم وغدرهم الذي اعتادوا عليه منذ القدم ولم يرحموا لا الأنبياء ولا الأئمة ولا القادة ولا الزعماء فليس غريباً عليهم أن يجهزوا على الزعيم جمال عبد الناصر .

وكانت قصائده إلى عبد الناصر محل قيل وقال بعضهم صفق له ، وبعضهم صفق على وجهه، بعضهم وضعه في مصاف الأنبياء ، وبعضهم وضعه في مصاف الكفار ، ثم توالت قصائد نزار السياسية وأصبحت تلقي اهتماماً ورواجاً من جميع الأوساط الأدبية وغير الأدبية حتى رجل الشارع راح يتفاعل مع قصائد نزار السياسية ويرى فيها تعبيراً عن المشحون الفكري لديه .



وعندما حاولت الأجهزة الأمنية في مصر منع تداول قصيدة هوامش على دفتر النكسة ووضع اسم الشاعر على قائمة الممنوعين من دخول مصر . . سارع نزار بإرسال رسالة خطية إلى الزعيم جمال عبد الناصر شرح له فيها الظروف والمناخ النفسي الذي افرز تلك القصيدة وشفع الرسالة بنسخة من القصيدة . . وقرا عبد الناصر القصيدة ولم يجد فيها شيئاً أقوى مما كان يقال في الشارع أو اشد من النكت السياسية اللاذعة التي تداولها الناس في تلك الفترة كتفريغ عن شحنات الغضب العارم المكبوت في النفس العربية عقب النكسة .

واشر عبد الناصر على رسالة نزار بعدة تعليمات سمح فيها بتداول القصيدة ، كما سمح للشاعر بدخول ارض الكنانة على الرحب والسعة .

واستمر نزار في منهجه الشعري السياسي مهاجماً لاذعاً شديد اللهجة يعري العرب ويكشف الستار عن خطاياهم وعيوبهم وممارستهم المبتذلة بأسلوب ساخر وحاد دون أن يغضب منه العرب بل احبه القارئ العربي واشتدت لهفته على قصائد نزار التي أصبحت مثل المنشورات السرية الممنوعة تقلق الحكام وتقض مضاجعهم وتسبب لهم الأرق وتطير النوم من عيونهم .

ومرة أخرى يختلف النقاد في شان نزار قباني وشعره السياسي ، بعضهم اعتبر نزار مناضلاً بسن القلم في خندق واحد مع المناضلين بالرشاش والكلاشينكوف ، وبعضهم اعتبره مزايداً استثمر النكسة وألام الجماهير العربية ، وبعضهم الآخر أغضبه الهجاء السياسي الذي صبه نزار على العرب واعتبر إهانة للعرب ومقدساتهم واتهم نزار بالشعوبية لأنه يهاجم كل ما هو عربي ويتهم العرب بالتخلف والجهل والجاهلية والغدر ويسخر من تاريخهم وأفكارهم وأدبهم ويهزا بكل ما يقدسه العرب . . وبعضهم الآخر اتهم نزار بالسادية والرغبة في جلد الذات العربية في محاولة للتشفي واتخذوا من انتحار شقيقته وصال سبباً سيكولوجيا لدعوى السادية التي اتهموا بها نزار وانه كان يحاول جلد الذات العربية التي تسببت برجعيتها وصلفها في مقتل شقيقته التي حرمتها التقاليد العربية من الزواج ممن تحب فانتحرت.

ولكن سواء كان هذا أو ذاك أو ذلك . . فعلى جميع التوجهات والافتراضات يبقى نزار شاعراً كبيراً من اكبر واعظم شعراء العرب المعاصرين ومن أقوى المناضلين بسن القلم والسابحين ضد التيار في بحر المعترك السياسي شغل أذهان الذين اختلفوا معه أو الذين اتفقوا عليه . . وتبقى قصائده ملاحم عربية تسجل بكل أمانة مرحلة من أهم مراحل التحولات السياسية في فترة من اخطر فترات التاريخ العربي الإطلاق.

ونحن هنا نحاول إلقاء الضوء على بعض قصائد نزار السياسية التي أغفلها النقاد لأن قصائد ((هوامش على دفتر النكسة)) و ((الممثلون)) و ((رثاء جمال عبد الناصر)) و ((المهرولون)) و



((شعراء الأرض المحتلة)) و ((متى يعلنون وفاة العرب)) سرقت الأضواء من باقي قصائد نـزار السياسية والتي لا تقل عنها أهمية إن لم تكن تتفوق عليها فنياً وسياسياً.
أن معظم قصائد نزار السياسية كانت موجهة إلى جمال عبد الناصر بشكل مباشر أو غير مباشـر . .
ولأن جمال عبد الناصر كان بالنسبة لنزار ليس مجرد زعيم عربي بل كان بالنسبة نزار قباني كانـت هذه العلاقة إشكالية خاصة تحتاج إلى محلل نفسي اكثر مما تحتاج إلى ناقد أدبي أو مؤرخ سياسي .

الفصل الأول

جذور الشعر السياسي عند نزار قباني

إذا بحثنا عن الجذور وتتبعنا البدايات الشعرية وانطلاقة المد الوطني لدى نزار قباني وجدنا أن بذور الشعر الوطني عنده قد تم غرسها عام ١٩٥٤ . وان الإرهاصات الأولى للحس الوطني قـد جاءته عن طريق والده توفيق قباني ((الحلواني)) الذي فتح بيته للمقاومة الوطنية ضد الفرنسيين وكان منزله ملتقى للثوار ثم التحاق نزار بمدرسة الحقوق وهي مصنع الساسة والمناضلين ثم عمله في السلك الدبلوماسي فور تخرجه وارتباطه بشكل مباشر بالسياسة والسياسيين ولكن كل ذلك لم يحرك ساكناً في نزار قباني ولم يشكل عنده الحافز الملح ولا الدافع القوي لكي يتجه إلى الأشغال بهموم السياسة كتابـة وشعراً بشكل فعلى مباشر .
فالملاحظ من سيرة نزار قباني ومن أشعاره أنه يهجر مخدع المرأة ولم يترك محرابها الذي وقف على أبوابه متعبداً ولم يتأخر عن الحديث عن جمالها ومفاتن جسدها ومرآتها وعطورها وملابسها ومكياجها وأشيائها الصغيرة والكبيرة .
حتى لحظة استقلال سوريا وخروج المحتل الفرنسي لم تلفت نظر نزار قباني ولم تحرك فيـه الحـس السياسي ولم تفجر الطاقات الوطنية الكامنة فيه .
ولكن التحولات الكبرى في حياة نزار قباني ارتبط ارتباطاً مباشراً بنكسة ١٩٦٧ فلقد كانـت حـرب حزيران وما أسفرت عنه من واقع عسكري وسياسي واجتماعي ونفسي كانت هي الزلزال الذي هـز وجدان نزار قباني وحوله بزواية مقدارها ١٨٠ درجة نحو هموم الوطن وأحزان وألام الأمة العربيـة بأسرها بالشعر الوطني والسياسي وكتب أروع قصائده وسجل اعظم إبداعاته .
ونحن هنا نؤكد أن نكسة ١٩٦٧ هي الإعصار السياسي أو الزلزال الكبير الذي اعتصر وجدان شاعرنا وحوله من شاعر الحب والحنين إلى شاعر يكتب بالسكين وذلك عندما اصدر منشوره السياسي الهـام



الذي أقام الدنيا ولم يقعدها في ذلك الوقت وهو قصيدة ((هوامش على دفتر النكسة)) ولا يؤثر في ذلك بعض المحاولات التي قدمها نزار في مجال القصيدة الوطنية اعتباراً من عام ١٩٥٤ وإن كانت تلك القصائد لم تشغل بال القارئ العربي ولم يتوقف أمامها كثيراً مثلما حدث مع قصائد نزار السياسية بعد النكسة . . وكانت تلك القصائد الوطنية ــ قبل ١٩٦٧ ــ تبدو باهتة باردة جافة خامدة لا تلمس فيها ذلك التوهج والبريق الموجود في فتوحاته الغزلية وأشعاره العاطفية في المرأة التي تخصص فيها وتوظيف في بلاطها.

فمن الملاحظ أن أحداث السياسية الكبرى التي حفلت بها المنطقة العربية خلال فترة ما قبل ١٩٦٧ والتحولات الوطنية سواء على المستوى الإقليمي في سوريا أو القومي على مستوى الوطن العربي لم تكن تشغل مساحة مناسبة من اهتمامات نزار قباني لدرجة أن حدثاً وطنياً كبيراً مثل استقلال سوريا عن الاحتلال الفرنسي لم يحرك ساكناً عند نزار قباني ولم يفكر في التعبير عنه ولو ببيت واحد من الشعر ومر الحدث مرور الكرام .

لذلك فقد ظل نزار محصوراً في فلك الشعر النسائي واعده النقاد والكتاب شاعر المرأة الأول لذلك فقد تألم نزار كثيراً من هذا التوظيف الأدبي ، ونحن هنا نؤكد أن نكسة ١٩٦٧ هي الإعصار السياسي أو الزلزال الكبير الذي هز وجدان شاعرنا هزاً وحوله من شاعر الحب والحنين إلى شاعر يكتب بالسكين كما أسلفنا ، وذلك بإصدار منشوره السياسي المهم الذي احدث دوياً هائلاً في ذلك الوقت والمسمى بقصيدة (هوامش على دفتر النكسة) ولكن والحق يقال إن نزار قباني كتب عدة قصائد وطنية اعتباراً من عام ١٩٥٤ وإن كانت تلك القصائد لم تشغل بال القارئ العربي ولم يتوقف أمامها كثيراً مثلما حدث مع قصائد نزار بعد النكسة . . وبالرغم من هذه الحقيقة التي لا ينكرها أحد من النقاد ويعترف بها نزار نفسه إلا انه راح يصرخ في وجه القراء والنقاد بان يخرجوه من ذلك النطاق الضيق الذي حصروه فيه وهو ((شاعر المرأة)) ويقول لهم هل من الممكن إكراماً لكل الأنبياء أن تخرجوني من هذه القارورة الضيقة التي وضعتني فيها الصحافة العربية أي قارورة الحب والمراة . . ويستطرد نزار قائلاً:

ــ يا جماعة أنا من زمان مستقيل من عملي كحارس ليلى على باب المرأة أنا الآن أؤدي خدمتي العسكرية للوطن وممنوع على أن أقابل حبيبتي إلا في أيام الإجازات[٢] .

إنه يعلن بكل صراحة انه كشاعر يؤدي خدمة العلم أو مجند لأداء الخدمة العسكرية للوطن وهو في معسكر الواجب الوطني ومحظور عليه كل الممارسات السابقة حتى لقاء حبيبته غير مسموح به إلا في يوم الإجازة . . هذا الإعلان وجهه الشاعر إلى الشعراء والنقاد عام ١٩٧٥ أي بعد مرور ثماني



سنوات على كتابة قصيدته الخطيرة ((هوامش على دفتر النكسة)) وبعد أن قطع شوطاً طويلاً في مجال الشعر السياسي وبعد أن أدرك أهمية الدور المنوط بالشاعر في هذه المرحلة التي تمر بها الأمة العربية بل أن الشاعر يرى أن شعره القديم في الغزل النسائي ربما كان من مخلفات الجيل الذي صنع النكسة ، صحيح أن الشاعر أدرك أهمية دوره الوطني ، وصحيح أن الشاعر احترف الشعر السياسي وصحيح انه جند نفسه لأداء الخدمة الوطنية ولكنه صرح في الوقت نفسه انه مسموح له بلقاء الحبيبة في أيام الإجازات وأيام الإجازات هي استثناء على القاعدة والشاعر يقصد بهذه الإشارة انه منقطع في هذه المرحلة لكتابة الشعر السياسي ولكنه في الوقت نفسه لم ينقطع عن شعر المرأة والذي ترك له أيام الإجازات.

لقد جعل الشاعر من نفسه راصداً لحركة العمل السياسي العربي وظل يواكب ميلاد العمل الفدائي الفلسطيني ويسجل أيضا موقفه الصارخ من تخاذل بعض الحكام العرب والحكومات العربية . . وحينما خطفت قضية فلسطين الأضواء على الساحة العربية والدولية حجز نزار لنفسه مقعداً في الصفوف الأول من مؤيديها ثم وصل إلى مرتبة الصدارة في المرحلة الأخيرة من حياته ولم يكن ذلك على حساب قصائد الذائعة الصيت في شؤون جسد المرأة بل كان رد فعل طبيعياً لمتطلبات التغيرات في الواقع على الساحة العربية سياسياً واجتماعيا واقتصاديا وثقافياً وما نتج عن ذلك من تغيرات في الذوق العام لدى القارئ العربي منذ عام ١٩٦٧[٣] .

نعم بدأت القصيدة السياسية تشغل حيزاً وجانبا مهماً من اهتمامات نزار وتنافس وتزاحم قصائده الغزلية كما بدأت القلوب العربية ولآذان تخفق وتشنف لسماع شعره السياسي بنفس الاهتمام والإحساس الذي قابلوه به شعره النسائي ، واستمرت القصيدة السياسية جنباً إلى جنب مع قصيدة الغزل الصريح معتمدة على رصيد نزار في وجدان الأمة العربية ثم تحفر مكانتها المستقلة في ذلك الوجدان. حيث تستمر الثورة على الواقع المهزوم عن طريق سياسي كتبت كلماته بماء النار موجهاً في المقام الأول إلى الزعيم الراحل جمال عبد الناصر باعتباره نائباً عن الضمير العربي كله وباعتباره اكبر الزعامات العربية وباعتباره رئيس اكبر دولة كان الاعتماد عليها في الصراع مع إسرائيل ثم يتجه إلى زعماء وأثرياء العرب بسبب انشغالهم عن الهم العربي الأول وانغماسهم في ملذاتهم وإرضاء شهواتهم وإهدار المال العربي في غير الصالح العربي وفي النهاية يتوجه بهذا الخطاب الجارح الدامي إلى الشعب العربي بكامل اتساع الأرض العربية ليس منتقداً بل موبخاً ومعنفاً بأسلوب حاد ويلفظ جارح إلى درجة القذف والسبب وإلقاء اللعنة حتى على لفظ ((عربي)) مثل قوله:



لا تسافر بجواز عربي

لا تسافر مرة أخرى لأوروبا

فأوربا كما تعلم ضاقت بجميع السفهاء

لا تسافر بجواز عربي بين أحياء العرب

فهم من اجل قرش يقتلونك

وهم حين يجوعون مساء يا كلونك

لا تكن ضيفاً على حاتم طي

فهو كذاب ونصاب

لا تسر وحدك بين أنياب العرب

يا صديقي رحم الله العرب

فقد وصمهم ووصفهم باحقر النايا مثل السرقة والقتل والخيانة والشح والبخل وفي النهاية يحكم عليهم بالموت.

ويقول أيضا في قصيدة أخرى:

إياك أن تقرا حرفاً من كتابات العرب

فحربهم إشاعة وسيفهم خشب

وعشقهم خيانة ووعدهم كذب

إياك أن تسمع حرفاً من خطابات العرب

فكلها نحو وصرف وأدب

وليس في معاجمهم الأقوام

اقوام اسمهم عرب

إنه يمسك معولاً يهدم كل المقومات العربية افترائهم أجوف وتافه وكتبهم سخافة وخواء وفروسيتهم وهم وطنطنة كذابة وحبهم ينتهي بالخيانة ووعودهم كاذبة وخطبهم مجرد زخرفة لفظية .. وقد وصل الأمر إلى حد إنكار وجودهم لتفاهتهم وضالتهم فيقول انه ليس هناك شيء اسمه العرب وهو هنا يذكرنا بقصيدتي ((الرجال والخوف)) و ((الأرض السيباب)) للشاعر الإنجليزي ت . س . إليوت اللتين



كتبهما بعد الحرب العالمية الثانية معبراً عن مدى الخراب والدمار الذي أصاب الحضارة واحب الإنسان من الداخل.

وبالرغم من هذه الشدة ضد الشارع العربي ازداد إعجاب القارئ العربي بشعر نزار وخطابه السياسي لأن القارئ أدرك انه الجراح الذي ينكأ الجرح لينظفه أولا ثم يعالجه ثانياً وأدرك أيضا أن نزار بجرأة وجسارة قال ما يريد كل عربي أن يقوله ولكنه يخاف أو يخجل . . فكلما تواجه نزار برسائله إلى القارئ العربي ازداد القارئ بها اهتماماً ولم تفلح وشايات النقاد في فصم العلاقة بين الشاعر وقرائه ومحبيه ومعجبيه الذين ازداد شغفهم بشعره السياسي لدرجة أن بعض دواوينه طبعت حوالي عشرين طبعة وفشلت كل محاولات المنع والحظر والمصادرة.

كما أن جميع أجهزة الأمن والمنشغلين بالرقابة السياسية فشلوا في استعداء جمال عبد الناصر على نزار قباني وقطع علاقة التواصل بينهما بل أن جمال عبد الناصر عندما كانت تصله قصائد نزار كان يزداد بها وإعجاباً ويطلب عدم مصادرتها كما يحول دون اتخاذ أي إجراءات أمنية ضد نزار ويسمح له بدخول مصر والمشاركة في مؤتمراتها الأدبية بل كانت الدعوة توجه لنزار فيأتّي إلى مصر ويشتم المصرين والزعيم ويسافر دون أية إجراءات تعسفية ضده . . وهي خاصية لم يتمتع بها إلا نزار في الوقت الذي كانت تتخذ فيه إجراءات ضد كتاب وشعراء لم يكتبوا أو يقولوا عشر ما قاله نزار أمثال الأبنودي واحمد عبد المعطي حجازي واحمد فؤاد نجم والشيخ إمام وبدر توفيق وغيرهم كثيرون.

كان نزار قد وصل فعلاً إلى مرحلة إقناع القارئ بان البتر هو خير وسيلة للعلاج وان المثل العربي التراثي وهو ((آخر الدواء الكي)) هو العلاج الوحيد للنكسة العربية فيقول نزار بان القصيدة التي لا تنزف على اصابع قارئها نصابة بفقر الدم.

وقد آثار الموقف المتناقض بين غضب نزار على العرب ثم مقابلة هذا الغضب وهذا الجلد اليومي بحب وإعجاب وشغف ، هذا الموقف أغاظ النقاد والصحفيين وأثار حفيظتهم ضد نزار فراحوا يتربصون به ويتصيدون له الأخطاء ويستعدون عليه السلطان والمسؤولين[٤] ، وراحوا يكتبون بأنفسهم نيابة عن الحكومات أوأمر الاعتقال وقرارات الضبط والإحضار بل وينصبون من أنفسهم قضاة وجلادين يصدرون أحكام الإدانة وينفذونها على الشاعر الهارب من العدالة.

وقد فسر بعض النقاد هذه المعاملة القاسية من نزار للعرب بأنها معاناة حقيقية دفعته إلى تبني هذا الموقف وأنها جلد اللذات العربية وتعبير عن رفض ما وصلت إليه الأمة العربية من التشرذم والهوان[٥] ، وما وصل إليه الحس العربي من الفتور والبارود والبلادة وما وصل إليه الحكام العرب من حرص على المناصب والكراسي وتكالب على الشهوات والملذات ثم محاولة إسكات كل الأصوات الثائرة



بممارسات قمعية سلطوية تعود بنا قروناً طويلة من الجاهلية وتتنافى مع كل أساليب التحضر ومع حقوق الإنسان.

يقول نزار عن بدايات علاقاته بهموم الوطن : (كانت معركة المقاومة ضد الانتداب الفرنسي تمتد من الأرياف السورية إلى المدن والأحياء الشعبية وكان حي الشاغور ــ حيث كنا نسكن ــ معقلاً من معاقل المقاومة . وكان زعماء هذه الأحياء الدمشقية من تجار ومهنيين وأصحاب حوانيت يمولون الحركة الوطنية ويقودونها من حوانيتهم ومنازلهم)[٦].

هكذا كانت البيئة المحيطة بنزار بيئة تشغيل بنيران الثورة والنضال والمقاومة ضد المستعمر الفرنسي وكان زعماء المقاومة من مختلف المهن والحرف وليس قصراً على بيئة أو طائفة بعينها بل أن اقرب المقربين لنزار وهو والده كان واحداً من هؤلاء الزعماء حين يقول : (أبى توفيق القباني كان واحداً من أولئك الرجال وبيتنا واحداً من تلك البيوت ويا طالما جلست في باحة الدار الشرقية الفسيحة استمع بعشق طفولي غامر إلى الزعماء السياسيين السوريين يقفون في إيوان منزلنا ويخطبون في ألوف الناس مطالبين بمقاومة الإحلال الفرنسي ومحرضين على الثورة من اجل الحرية[٧].

من هنا نستطيع القول أن نزار نشا في بيئة عربية وطنية وفي منطقة تعتبر مصنعاً للحركة الوطنية وفي بيت كان كعبة يطوف حولها الزعماء والقادة ومن صلب رجل كان من هؤلاء الزعماء والمناضلين البارزين ويظهر اهتمام نزار بافتخاره بوطنية أبيه ونشأته في تلك البيئة التي نطق أول كلماته الشعرية في أجوائها السياسية .

إن القول بعدم اكتراث نزار بالهموم الوطنية والقضايا السياسية منذ ميلاده كشاعر حتى عام النكسة هو قول عام قد يكون فيه بعض التعسف والظلم لنزار قبل البحث في بطون دواوينه والوقوف على حقيقة الأمر[٨].

فعلى سبيل المثال إذا تأملنا ديوانه الشعري الأول ((قالت لي السمراء)) والذي يحتوي على ثمان وعشرين قصيدة تدور حول المرأة والغزال نجد انه يتطرق إلى ذكر الوطن في بعض المواضع وإن كانت هذه المواضع الوطنية قد جاءت على استيحاء مثل قصيدة ((ورقة إلى القارئ)) التي يقول فيها:

أنا لبلادي . . لنجماتها

لغيماتها للشذا .. للندى

سفحت قوارير لوني نهوراً

على وطني الأخضر المفتدى



وفي قصيدة أخرى بعنوان ((اسمها)) يقول وهو يلمح إلى الوطن :

كقطيع من المواويل حطت

في ذرى موطني الأنيق الأنيق

اسمها ركضه النبيذ بأعصابي

وزحف السرور طي عروقي

وفي القصيدة الثالثة ((حبيبة وشتاء)) يرقى بهذا الحب إلى الحبيبة الكبرى سورية فيقول:

احبك في مراهقة الدوالي

وفيما يضمر الكرم الرضيع

وفي ترع الغمائم في بلادي

وفي النجمات في وطني تضيع

وفي القصيدة الرابعة ((إلى مصطافة)) يربط بين الوطن والمحبوبة فيقول:

لأغزل غيم بلادي شريطاً

يلف جدائله الراعدهْ

لأغسل رجليك يا طفلتي

بماء ينابيعها الباردة

تلك هي المواضع الأربعة التي تحدث فيها نزار عن الوطن واعتبرها الإرهاصات الأولى للشعر السياسي عند نزار بل بعضهم يقول ((نلاحظ منذ الورقة الأولى أن الشاعر لم يغفل عن الخط الوطني))[٩]. ولكنه قول فيه كثير من المبالغة.

حيث جاء ذكر بلاده أو وطنه مفرغاً من أي دلالة سياسية أو بعد وطني كما انه وإن كان يرصد أحاسيس ومشاعر فإنه لم يقدم فكراً أو توجهاً وإن كانت قصيدته الأولى توهم بذلك إلا أنها كتقدمه تفقد قيمتها الدعائية مع الدخول في بحر أول قصيدة تليها واكتشاف أن شاعرنا مسكون بهموم أخرى غير هموم الوطن إنها هموم الجنس والشهوة التي يجسدها هذا الديوان[١٠].

وكان من المفترض والمنطقي أن يشتمل هذا الديوان على العديد من القصائد الوطنية التي تنسجم مع افتخار نزار بوطنية الحي الذي ولد ونشا فيه وما شاهده فيه من ألوان مقاومة الاحتلال الفرنسي وكذلك مع افتخاره بوطنية أبيه الذي جعل بيته مقراً للأحرار وحصناً للثورة[١١].

كان يمكن أن يترجم هذه النشأة في ذلك المناخ الثوري ــ كما صورها نزار ــ كما فعل غيره من الشعراء السوريين والعرب فيهتف مثلما هتف خير الدين الزركلي مثلاً.



الأهل أهلي والديار وديا ري

وأشعار وادي النيرين شعاري

ما كان من ألم بجلق نازل

وارى الزناد فزنده بي وارى

إن الدم المهراق في جنباتها

لدمى . . وإن شفاؤها لشفارى[١٢]

فإذا رصدنا ديوانه الشعري الثاني الشهير ((طفولة نهد)) والذي انتهى منه نزار قباني بعد تحرير سورية من الاحتلال الفرنسي بعام واحد وبعد أن تخرج نزار من كلية الحقوق والتحاقه بالعمل السياسي والدبلوماسي نجد أن هذا الديوان قد احتوى على ٣٧ قصيدة أطلق على واحدة اسم ((بلادي)) تحدث فيها عن خيرات بلاده مفتخراً بها معدداً حسناتها قائلاً:

جبالنا مروحة

للشرق .. غرقى لينه

توزع الخير على الدنيا

ذرانا المحسنة

يطيب للعصفور أن

يبني لدنيا مسكنه

ويغزل الصفصاف في حضن السواقي موطنه

حدودنا بالياسمين

والندى محصنة

ووردنا مفتح

كالفكر الملونة

وعندنا الصخور تهوى

والدوالي مدمنة

وإن غضبنا

نزرع الشمس .. سيوفاً مؤمنه



بلادنا كانت . . وكانت بعد هذى الأزمنة[١٣]

وهي وإن كانت قصيدة وطنية لفظاً وأسلوبا وعنواناً فهي على صعيد اللغة مستلة من معجمه الغزلي وعلى صعيد الصورة لا تختلف عن البوم صوره وعلى صعيد المضمون لا تترجم أي موقف سياسي أو انشغال بأية قضية وطنية أو قومية فهي قصيدة لا تعد دخلية بين قصائد هذا الديوان الذي لم تخطر فيه هموم الوطن على بال نزار البتة حتى استقلال سورية وجلاء القوات الفرنسية عنها صبيحة السابع عشر من إبريل ١٩٤٦ الذي هلل له معظم شعراء سورية والوطن العربي[١٤]، فإنه لم يحرك مشاعر نزار الوطنية مثلما حرك مشاعر ابن حماه بدر الدين الحامد الذي قال:

هذا التراب دم بالدمع ممتزج

تهب منه على الأجيال انسام

يوم الجلاء هو الدنيا وزهرتها

لنا ابتهاج وللباغين إرغام

لقد ثأرنا والقينا السود وإن

مرت على الليث أيام . . وأعوام

فيا فرنسا ارجعي بخزي صاغرةً

ذكراك في صفحة التاريخ أثامُ[١٥]

وإذا كانت نكبة فلسطين لها خصوصية لدى نزار قباني واهتمام متميز فإنه لا يخفي على أحد أن هموم فلسطين بدأت منذ النكبة عام ١٩٤٨م وقبلها بسنوات طويلة وقد استشرف الأدب العربي عامة والأدب الفلسطيني على وجه الخصوص النكبة وحذر من ويلاتها ورصد خيوط المؤامرة التي اتضحت مراميها مع زمن الانتداب الإنجليزي على فلسطين وواكب مجريات الأحداث وشحذ الهمم ثورة بعد ثورة وشرح أسباب المصائب التي حلت بالشعب الفلسطيني وكشف سوءات السماسرة ومحترفي السياسة وتجار الوطنية والشعارات الزائفة.

نعم لقد صرخ الشعراء وزمجر الخطباء وارتفع أنين الكتاب تحت نير المرحلة وفي أغلال المؤامرة وكانت الغاية الأولى بين غايات أدب تلك المرحلة هي التنوير والتثوير على ما يحاك للشعب الفلسطيني وأرضه. لقد كانت إبداعاتهم جميعاً ناقوس خطر دائم القرع ينذر بالضياع للبلاد والعباد[١٦].

والأمثلة على ذلك كثيرة منها قول الشاعر محمد حسن علاء الدين:



قلبي يحدثني بيوم مفجع
يدنى العدى . . ويبعد الأصحاب
يا قلب لا تنبس بأي فجيعة
هل خففت شكوى تبث عذابا[١٧]

أو كما قال الشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان منبهاً للنكبة قبل وقوعها بحوالي ١٣ عاماً:

أمامك أيها العربي يوم
تشيب لهوله سود النواصي
وأنت كما عهدتك لا تبالي
بغير مظاهر العبث الرخاص
مصيرك بات يلمسه الأدنى
وسار حديثه بين الأقاصي
فلا رحب القصور غداً بباق
لسكانها ولا ضيق الخصائص
لنا خصمان ذو حول وطول
وأخر ذو احتيال واقتناص
تواصوا بينهم فأتي وبالاً
وإذلالاً لنا ذاك التواصي
مناهج للإدارة واضحات
وبالحسنى تنفذ .. والرصاص[١٨]

ومثل ذلك قول برهان الدين العبوسي منذراً هو الآخر بوقوع الكارثة في قصيدة بعنوان ((الوطن المبيع))

لهفي على الليث المهدد غابه



قد كان اجدر أن يموت بغابة

والحر يدفع عن حماه بسيفه

فإذا تحطم سيفه . . فبنابه

فالمجد لا يبني بغير جماجم

والمجد تحميه سيوف غضا به

إن كان الاستقلال يؤخذ عنوةً

والموت فيه فنحن من أربابه[١٩]

هؤلاء شعراء لم يبلغوا شيئاً من الذي بلغه نزار من الشهرة والذيوع كما انهم قد يتضاءلون فنياً أمام المستوى الفني والشعري لنزار قباني وبالرغم من ذلك كان لهم ذلك الحس الوطني وذلك الحضور فكانوا على مستوى الحدث قلباً وقالباً حساً وأداء شعوراً وشعراً.

أما ما كتبه نزار قباني من قصاصات في الوطن فحرى بنا أن نفرق فيها بين الوطنية والمواطنة ، فالوطنية هي الشعور الوطني أما المواطنة فهي الشعور بالسكن والإقامة. وما كتبه نزار هو نوع من المواطنة من حيث الحديث عن البلد والوطن والتغزل في ربوعه وسمائه ونجومه ونسيمه وأشجاره وهذا يختلف عن الشاعر المسكون بهموم الوطن وآماله وآلامه.

وبالرغم من هذه النتف القصير والقصاصات السريعة التي تبدو كالرقع في الثوب الشعري لنزار قباني والتي حاول البعض إطلاق اللون الوطني عليها نقول أن نزار كان بعيداً كل البعد عن هموم الوطن السوري كجزء أو الوطن العربي ككل في الفترة التي سبقت نكسة ١٩٦٧ م فقد رأينا كيف أن ديوانيه الأول والثاني قد صدر في فترة مشتعلة بالمخاض الثوري والنضالي وبالرغم من ذلك لم يتجسد الحس الوطني فيهما.

كما صدر ديوانه الثالث ((سامبا)) عام ١٩٤٩م أي بعد نكبة فلسطين بعام واحد وبالرغم من ذلك خصصه نزار كله للحديث عن جسد المرأة ومكانتها الحسية ، ثم يصدر ديوان الرابع ((أنت لي)) عام ١٩٥٠ والذي يضم ٣٢ قصيدة انفردت جميعها في تصوير جسد المرأة وأدوات الزينة ومواطن الإثارة والفتنة في الوقت الذي كانت فيه قضية فلسطين تتربع في سويداء قلوب الشعراء في تلك المرحلة.

ففي الوقت الذي يقول فيه الشاعر على محمود طه غاضباً:



آخي جاوز الظالمون المدى فحق الجهاد وحق الفدى

أنتركهم يغضبون العروبة مجد الأبوة والسؤددا

اخي إن في القدس أختا لنا اعد لها الذابحون المدى

كما نجد شاعر سورية عمر أبو ريشة يقول:

أمتي هل لك بين الأمم

منبر للسيف أو للقلم

الإسرائيلي تعلو راية؟

في حمى المهد . . وظل الحرم

نجد نزار لاهياً عابثاً منشغلاً ومسكوناً بالمرأة:

ألوان أثوابها تجري بتفكيري

جرى البيادر في ذهن العصافير

ألا سقى الله أياما بحجرتها

كأنها أساطير الأساطير

أين الزمان وقد غصت خزانتها

بكل مستهتر الألوان معطور

فثم رافعة للنهد . . زاهية

إلى رداء . . بلون الوجه مسعور

ولعل بعض النقاد يتساءلون لماذا كان غضب نزار وثورته على العرب وممارسات الحكام العرب وزيف شعاراتهم التي أدت إلى هزيمة ١٩٦٧م وانه إذا كان هذا الغضب والهجاء السياسي المر موقوتاً باحتلال اليهود للأرضي العربية عقب النكسة فمن حقنا أن نتساءل أين كان غضب نزار حينما احتل اليهود القسم الأكبر من فلسطين عام ١٩٤٨م وكيف استطاعت إسرائيل وهي دولة ناشئة عمرها أيام تقوم على بعض الشراذم اليهودية وبعض العصابات المسلحة التي جمعت من الأفاقين وشذإذ الأرض.. استطاعوا أن ينتصروا على سبعة جيوش عربية.

وأين كان غضب نزار حيال المجازر التي ارتكبها الإسرائيليون ضد الفلسطينيين ولكن هذا السؤال الذي يطرح نفسه بشدة وبإلحاح قد يرد عليه بان نزار اسهم في الكتابة عن نكبة ١٩٤٨م وإن كان ذلك



الإسهام لم يقتصر على اكثر من قصيدة أو قصيدتين هما ((قصة راشيل شوارزنبرج)) ثم القصيدة التي هاجم بها سلوكيات بعض الزعماء العرب وتخاذلهم تجاه قضية فلسطين.

وهذا التواضع النزاري في معالجة أحداث ١٩٤٨م ربما يكون مرجعه أن المأساة الفلسطينية لم تكن بهول ما حدث عام ١٩٦٧م إلى جانب ان الحلم العربي الكبير والآمال التي عقدها العرب على زعامة جمال عبد الناصر وجيش مصر ثم الشحن الإعلامي المتزايد قبل النكسة قد تحول إلى رد فعل قوي وغاضب ومدمر عندما وقعت الصدمة العربية الكبرى بعد خيبة كل الآمال والطموحات إثر نكسة ١٩٦٧ إلى جانب أن الشاعر لم يكن قد نضج بعد كشاعر هجاء سياسي وكان في تلك الفترة مشغولاً بالوظيفة التي عين نفسه عليها وهي أن يعمل حارساً ليلياً وأبديا على مخدع المرأة وكان وقتها في فترة الشباب والرعونة والمراهقة الأبدية كما أن هزيمة ١٩٤٨م لم تكن مبرراً كافياً لكي يجلد العرب ويمارس معهم تلك الممارسات السادية لتعذيبهم .. فإن خسارة جولة ليست نهاية العالم وإذا كان العرب قد هزموا عام ١٩٤٨م فإن المسلمين بقيادة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قد هزموا في أحد . . ولكن أن يهزموا عام ٤٨ ويهزموا عام ٥٦ ويهزموا عام ٦٧.. إذن لم تكن المسالة مسالة ظروف أو مجرد خسارة جولة بل المسالة أصبحت عدم استعداد المقاتل العربي للانتصار ولو لمرة واحدة لذلك فقد قرر نزار أن هزيمة ٦٧ قد صادرت منابع شعره في المرأة ولم يبق له ألا منبع واحد يغترف منه الشعر السياسي ويدلل على ذلك بتلاشي عاطفة الحب أمام جبروت مشاعر الغضب ويقرر أيضا أن هذه المشاعر لن تزول إلا بزوال الاحتلال عن الأراضي المحتلة وقد جسد ذلك المعنى في قوله:

حولتني بلحظة

من شاعر يكتب شعر الحب والحنين

لشاعر يكتب بالسكين

ويقول نزار عن هذا التحول ((لم يبق بعد حزيران للشاعر سوى حصان واحد يمتطيه هو الغضب . . ولكن أين يبدأ حدود هذا الغضب وأين ينتهي صعب على كثيراً أن ارسم حدود غضبي فطالما أن هناك سنتيمتراً واحداً من ارضي تحتله إسرائيل وتذله وتقيم عليه مستعمراتها فإن غضبي بحر لا ساحل له))[٢٠].

وبالرغم من قولنا بان جذور المد الشعري الوطني عن نزار بدأت منذ أوائل الخمسينات أي قبل النكسة بحوالي ١٣ عاماً إلا أن النكسة تظل هي المحرك الأول لشعر نزار السياسي وهي الحدث الأكبر الذي



هز أعماقه هزاً وافرز لنا شاعراً من نوع آخر خرج من بوتقة المحن وانصهر مع نار الويلات التي أعقبت ١٩٦٧م.

ولكننا يجب أن نتوقف عند أربع قصائد مهمة شكلت الحس الوطني عند نزار وبلورته بشكل يستحق الإشارة ومنها أربع قصائد حملت عناوين (عندنا ـ إلى عينين شماليتين ـ القميص الأبيض ـ عودة التنورة المزركشة) دون أن تحمل هذه القصائد أية دلالة سياسية أو مضمون وطني تكاد تكون متسقة مع سياق القصائد العاطفية الغزلية ونعتبرها نوعاً من الغزل الوطني إن صح التعبير أو التغني بالبلاد عوضاً عن التغني بالمحبوبة .. وقد تعودنا من الشعراء العرب في سوريا ولبنان وبلاد الشام أن يتغنوا بالمدن والبلاد مثلما يتغنى اللبنانيون كثيراً بلبنان أو بيروت بقصائد هي اقرب ما تكون إلى القصائد الغنائية العاطفية.

وهناك أيضا قصيدة مهمة أثارت لغطاً كثيراً يوم صدورها وفتحت على نزار أبواب جهنم وهي قصيدة (خبز ـ وحشيش وقمر) التي أصدرها عام ١٩٥٤م وقد أثارت معانيها حفيظة الشارع الإسلامي وكان موقف رجال الدين منها اشد ضراوة من موقفهم من ديوانه ((قالت لي السمراء)) وما ينطوي عليه من المعاني الإباحية[٢١] إذ تطاول فيها نزار على القيم الإسلامية واستهزاء بمعتقدات المسلمين ومقدساتهم في مثل قوله:

في ليالي الشرق لما

يبلغ البدر تمامه

يتعرى الشرق من كل كرامة

ونضال

فالملايين التي تركض من غير فعال

والتي تؤمن في أربع زوجات

وفي يوم القيامة

تتردى جثثاً تحت الضياء

في بلادي حيث يبكي الأغبياء

ويمتون بكاء

كلما طالعهم وجه الهلال

وقد ارجع بعض النقاد تمرد نزار على الواقع العربي وسخريته ببعض المقدسات والمعتقدات الإسلامية إلى طبيعة عمله في السلك الدبلوماسي ونوع تلك الحياة التي كان يحياها في لندن والتي تقوم على الحرية التي قد تصل حد الإباحية والتمرد على تقاليد الشرق[٢٢].

وتعتبر هذه القصيدة بداية معركة نزار مع الواقع العربي المتردي والممارسات الشاذة وكبت الحريات خاصة إذا علمنا أن هناك وجعاً خاصاً يغوص في أعماق نزار بسبب الكبت الشرقي حيث كانت له أخت يكن لها حباً خاصاً قد انتحرت وقتلت نفسها بسبب العادات والتقاليد الشرقية والتي كانت سبباً في حرمانها من الزواج ممن تحب وتهوى ، وكان لهذا الحادث الأليم صدى عميق وقوي في أعماق نزار ظل يعيش معه طوال حياته.

فهذا المجتمع الشرقي بكل قسوته وجحوده وتخلفه وتسلطه هو الذي قتل أخته وهو الذي اسلم فلسطين عام ١٩٤٨م وهو الذي تسبب بجهله وتسطيحه وتخاذله وغروره في نكسة ١٩٦٧م.

وقد أشار نزار إلى أهمية تلك القصيدة قائلاً:

كانت أول مواجهة بالسلاح الأبيض بيني وبين الخرافة وبين التاريخيين[٢٣]، أما القصيدة الثانية التي تستحق الوقوف عندها طويلاً والتي كتبت عام ١٩٥٥ والتي يتوجه فيها إلى الصغار وإلى النشئ الذين يرى فيهم الأمل ويعرى أمامهم جيل الآباء المهزومين:

اكتب للصغار

للعرب الصغار حيث يوجدون

لهم على اختلاف اللون والأعمار ولعيون

اكتب للذين سوف يولدون

لأعين يركض في إحداقها النهار

فالأمل عند نزار دائماً في المستقبل . . في الآتي . . في الجيل القادم لعله يكون جيلاً افضل من جيل الآباء . . وهذا الأمل يعتبر دليلاً قوياً ضد الذين يتهمون نزار بالشعوبية وبكراهيته للعرب بالرغم من انه منهم وانه يعذب العرب من خلال هجائه السياسي لمجرد انهم عرب ويتصدى لممارستهم الحياتية بشيء من الشماتة والسخرية والتقريع إلى حد الهجوم الشديد والنقد اللاذع . . وإذا كان نزار شعوبياً لما اتجه بآماله إلى الأطفال فهم عرب أيضا ومن انسال هؤلاء العرب الذين يهاجمهم . . فهو كان يمكن أن يوصف بأنه شعوبي إذا هاجم العرب واتجه بالأمل والمدح لشعب آخر غير العرب ليحرر



العرب . . ولكنه يؤكد أن العرب متهمون بسبب بعض الممارسات الخاطئة بسبب بعض التراكمات والتداعيات النفسية والاجتماعية والسياسية وليس لكونهم عرباً . . يقول نزار موجهاً حديثه للأطفال:

وليذكر الصغار
حكاية الأرض التي ضيعها الكبار
وليذكر الصغار حيث يوجدون
من ولدوا منهم ومن سيولدون
ما قيمت التراب
لأن في انتظارهم معركة التراب

حتى عندما كبر هؤلاء الأطفال وتحملوا مسؤولية النضال القومي على اعتبار أن من كانوا أطفالا عام ١٩٤٨م اصبحوا مجندين في الجيوش العربية عام ١٩٦٧م هم أيضا توارثوا كل سلبيات ومعتقدات ومخلفات آبائهم وأجدادهم وتكررت نفس الممارسات المتخاذلة وهزم جيل ١٩٦٧م أيضا . . لم يفقد نزار الأمل وظل يتطلع إلى الجيل الجديد وهو أيضا من العرب – وراح يخاطب الأطفال الجدد ويعقد عليهم الآمال قائلاً في هوامش على دفتر النكسة:

انتم بذور الخصب في حياتنا العقيمة
وانتم الجيل الذي سيهزم الهزيمة
وحتى لا تتكرر مشكلة تواصل الأجيال والتأثير والتأثر وتوارث الأخطاء والسلبيات . . يوصي الجيل القادم قائلاً:
لا تقراوا أخبارنا
لا تقتفوا آثارنا
لا تقبلوا أفكارنا
فنحن جيل القيء والزهري والسعال
ونحن جيل الدجل والرقص على الحبال
كان يخشى على الأطفال من انتقال العدوى إليهم.



وفي قصيدة ((راشيل شوارزنبرج)) التي كتبها عام ١٩٥٥م يعرض فيها قصة راشيل تلك المومس اليهودية التي تدير بيتاً للدعارة في ألمانيا ثم تهاجر مع مهاجري اليهود الغربيين إلى فلسطين حيث جندت نفسها في عصابات الإرهاب التي كونت فيما بعد جيش إسرائيل.

يقول نزار:

كان أبوها من اقذر اليهود

يزور النقود

وهي تدير منزلاً للفحش في براغ

يقصده الجنود

. . . .

وأبحرت من شرق أوربا مع الصباح

سفينة تلعنها الرياح

وجهتها الجنوب

تغص بالجرذان . . والطاعون . . واليهود

كانوا خليطاً من ثقافة الشعوب

من غرب بولندا

من النمسا من استنبول . . من براغ

من آخر الأرض . . من السعير

جاءوا إلى موطننا الصغير

ولطخوا ترابنا

واعدموا نساءنا

ويتموا أطفالنا

ويستطرد الشاعر في أسلوب قصص عابته المباشرة والخطابة والبعد عن الخيال الشعري شارحاً قصة المجندة اليهودية:

قصة إرهابية مجندة

يدعونها راشيل



حلت محل أمي الممدة

في ارض بيارتنا الخضراء في الخليل

أمي أنا الذبيحة المستشهدة

أختي التي علقها اليهود في الأصيل

من شعرها الطويل

أختي أنا نوار

أختي أنا الهتيكة الأزرار

على ربى الرملة والجليل

أختي التي ما زال جرحها الطليل

مازال بانتظار

نهار ثار واحد نهار ثار

على يد الصغار

جبل فدائي من الصغار

يعرف عن نوار

وشعرها الطويل

وقبرها الضائع في القفار

اكثر مما يعرف الكبار

ونحن هنا نقدم هذه القصيدة على سبيل رصد حركة الشعر السياسي وجذوره عند نزار قباني بصرف النظر عن المستوى الفني للقصيدة التي يصل الأسلوب فيها إلى حد الركاكة وكان نزار قد كتبها ارتجالاً ولم يعطها حقها من ((النضج على نار هادئة)) حتى أن بعض الألفاظ والجمل قد وضعت لمجرد مجاراة القافية مثل الهتيكة الإزار ـــ جرحها الطليل ـــ الضائع في القفاز ، ولكن أهمية هذه القصيدة يعود فقط على اعتبار أنها علامة مرورية شاخصة على طريق الشعر السياسي عند نزار قباني.

ولكننا نؤكد هنا بما لا يدع مجالاً للشك أن قصائد نزار الوطنية أو السياسية أن صح التعبير كانت مجرد ((مجاملة)) شعرية من الشاعر أو نوع من إثبات الذات على الساحة أو نوع من ((الخجل الوطني)) ليؤكد الشاعر وجوده ودليلنا واضح من الفتور الواضح في تلك القصائد وخلوها من

العاطفة المشبوبة الجياشة المعروفة والتي تصل درجة حرارتها في بعض الأحيان إلى درجـــة لـــسع النار.

وعندما تقع حرب ١٩٥٦ نجد نزار ((مجنداً إجبارياً في صفوف الجيش المصري من خـــلال أربـــع وسائل صغيرة يرسلها جندي مصري في جبهة القتال لأبيه يقول نزار على لسان ذلك الجندي :

ياولدى هذى الحروف الثائرة تأتي إليك من السويس

تأتى إليك من السويس الصابرة

إني أراها يا أبي من خندقي

سفن اللصوص

محشورة عند المضيق

هل عاد قطاع الطريق

يتسلقون جدارنا

ويهددون بقاءنا

وفي الرسالة الرابعة من الجندي إلى أبيه يقول نزار:

مات الجراد

أبتاه ماتت كل أسراب الجراد

لم تبق سيدة ولا طفل ولا شيخ قعيد

في الريف في المدن الكبيرة .. في الصعيد

إلا وشارك يا أبي

في حرق أسراب الجراد

في سحقه في ذبحه حتى الوريد

هذى الرسالة يا أبي من بور سعيد

من حيث تمتزج البطولة بالجرح وبالحديد

من مصنع الأبطال اكتب يا أبي

من بور سعيد



ويقع الشاعر في التسطيح الشعري وفي النثرية وفي الركاكة وتصبح قصيدته كأنها مسودة قصيدة لم تراجع ولم تنقح وإلا لكان الشاعر قد أدرك على سبيل المثال ركاكة وضحالة قوله:

في سحقه . . في ذبحه حتى الوريد

إذ ما قيمة الذبح بعد السحق .. وما قيمة ((حتى الوريد)) إذا كان الذبح لا يكون إلا من الوريد ولكنها كما قلنا مجرد إشارات على الطريق أراد نزار أن يستخرج بها جواز سفر سياسياً في مجال الشعر الوطني يأخذ به تأشيرة دخول إلى قلب ووجدان المواطن العربي.

ولنزار قصيدة أخرى كتبها في نفس العام ١٩٥٥ يتحدث فيها عن المناضلة الجزائرية الشهيرة جميلة بو حريد بطلة قرية عامر بن بولاد التي اشتعلت بالثوار ضد الاستعمار الفرنسي .. يقول نزار:

يا ربي .. هل تحت الكواكب

يوجد إنسان

يرضى أن يأكل أن يشرب

من لحم مجاهدة تصلب

. . . .

أنتي كالشمعة مصلوبة

القيد بعض القدمين

وسجائر تطف في النهدين

ودم في الأنف وفي الشفتين

وجراح جميلة بو حيرد

هي والتحرير على موعد

الاسم جميلة بو حريد

تاريخ ترويه بلادي

يحفظه بعدي أولادي

تاريخ امرأة من وطني

جلدت مقصلة الجلاد

وإن كانت قصيدة جميلة بو حيرد اقرب إلى التجربة الشعرية من قصائده السابقة تبدو فيها صدق العاطفة كما تبرز بعض الصور التي تثرى الخيال الشعري في القصيدة وتبعدها إلى حد كبير عن النثرية التي وقع فيها نزار.

ثم يأتي عام ١٩٥٨م ليصدر نزار قصيدة ((الحب والبترول)) أعلن فيها الحرب على حكامنا العرب وحملهم سبب المآسي التي لحقت بالعرب وجعلهم الشماعة التي وضع عليها الأخطاء:

تمرغ يا أمير النفط . . فوق وحول لذاتك

كممسحة تمرغ في ضلالاتك

لك البترول فاعصره على قدمي خليلاتك

كهوف الليل في باريس قد قتلت مروءتك

على أقدام مومسة هناك

دفنت ثاراتك

فبعت القدس .. بعت الله

بعت رماد أمواتك

كان حراب إسرائيل لم تجهض شقيقاتك

ولم تهدم منازلنا . . ولم تحرق مصاحفنا

ولا راياتها ارتفعت على أشلاء راياتك

كان جميع من صلبوا

على الأشجار في يافا . . وفي حيفا

وبئر ليسوا من سلالاتك

تغوص القدس في دمها

وأنت صريع شهواتك

تنام كأنما المأساة ليست بعض مأساتك

متى تفهم

متى يستيقظ الإنسان في ذاتك

والقصيدة تحتوي على هجوم شديد وهجاء لاذع للذين يهدرون الثروات العربية على الغواني والملذات وينامون عن نصرة قضايا النضال العربي ، وإن كانت القصيدة تتسم بالنضج الشعري والبعد عن الخطابية والسردية ومن المحصلة لما سبق نقول انه رغم أن تلك الفترة التي سبقت يونيه ١٩٦٧م كانت حافلة بالأحداث الجسام وحافلة بحركات النضال وثورات التحرر ضد المستعمر الأجنبي وان الأرض العربية كلها كانت تشتعل ناراً في مصر وفي فلسطين وسورية والعراق والجزائر وعدن وغيرها وغيرها على امتداد الوطن العربي إلا انه من الملاحظ أن نزار قباني على مدار ٢٣ سنة منذ إصدار ديوانه الشعري الأول وحتى عام ١٩٦٧م لم يسفر إلا عن أربع قصائد وطنية هي كالتالي:

قصة راشيل شوارزنبرج	عام ١٩٥٥
رسائل جندي في جبهة السويس	عام ١٩٥٦
جميلة بو حيرد	عام ١٩٥٧
الحب والبترول	عام ١٩٥٨

فكأننا به على مدار ثلاث وعشرين سنة قد اخرج أربع مرات استنشق فيها هواء القومية العربية لبرهة قصيرة ثم عاد لمخدعه.

ولم تمر إلا سنتان كان زلزال نكسة ١٩٦٧م فأخرجت لنا نزارا جديداً مسكوناً بهموم وطنه مشغولاً بقضايا الأمة العربية.

لماذا الهجوم على عبد الناصر

من الملاحظ أن القصيدة بكل أبياتها وأبعادها وتوجهاتها السياسية والنقدية هي رسالة (غاضبة) وثائرة إلى الزعيم الراحل جمال عبد الناصر باعتباره زعيم الأمة العربية وقائد النضال العربي والأب الروحي لكل العرب ورئيس اكبر دولة عربية هي مصر وقائد اكبر وأقوى جيش عربي تصدى للصراع العربي مع إسرائيل ومع الامبريالية العالمية ولكل القوى المعادية للحقوق العربية ولأنه يمثل بالنسبة لنزار ولكل العرب الحلم العربي الكبير الذي سقط وانهار في لحظة . . وهو كل الأماني والطموحات العربية التي تحولت صباح الخامس من يونية ١٩٦٧م إلى حطام وركام ، ولأن الشاعر شانه كل مواطن عربي غيور أن يصب جام غضبه على الزعيم جمال عبد الناصر لأنه كما قال نزار:

كنت الصديق وكنت الصدوق

وكنت أبانا

. . . .

نفضت غبار الدراويش عنا

أعدت إلينا صبانا

وسافرت فينا إلى المستحيل

وعلمتنا الزهور والعنفوان

فهو الأب الروحي لكل العرب وهو التجسد الحي لكل الأماني القومية وهو الصديق الذي تبثه شؤونك وشجونك وهو الأب الذي ترتمي في حضنه وتبكي طويلاً فيمسح بيديه الدموع ويربت على الكتفين.

لذلك يقول له نزار مؤكداً ذلك المعنى في إحدى قصائده في رثائه:

أتينا إليك بعاهاتنا

وأحقادنا وانحرافاتنا

إلى أن ذبحناك ذبحا

بسيف أسانا

فليتك في أرضنا ما ظهرت

وليتك كنت نبي سوانا

فهو دائماً حائط الصد الذي يتلقى هجمات الأعداء والأصدقاء وهو الذي تلقى عليه عبارات اللوم والشتائم وهو الذي يتلقى اللعنات والطعنات ويدفع فاتورة كل الأخطاء والسلبيات . . حتى اصبح عبد الناصر ــ بحكم العادة والتعود ــ هو ملجأ المواطن العربي عند اللهفة وهو المذبح الذي تراق عنده الدماء وتهال عليه الرمال ويعفر وجهه بالتراب ويسلخ جلده عند الهزائم ودائماً الزعيم هو الذي يدفع كشف حساب كل العرب لكل العرب.

ونزار في قصيدة هوامش على دفتر النكسة يوجه رسالة غضب إلى الزعيم عبد الناصر ويقلب المائدة عليه وهو عندما يلومه يلوم كل العرب وهو عندما يسبه ويشتمه يشتم فيه كل الواقع العربي المرير وهو عندما يهيل عليه التراب يهيل التراب على كل العرب مجتمعين ومجسدين في عبد الناصر . . حتى عندما يسخر منه ويهجوه هجاء مقذعاً يهجو فيه الإنسان العربي والممارسات العربية المستفزة



حتى عندما يريد أن يوبخ الأنظمة العربية والقمع العربي والسلبية والتواكلية والانهزامية لا يجد أمامه وسيلة إلا أن يقذف عبد الناصر بالبيض الفاسد في موجة المظاهرة العربية الغاضبة.

لذلك فنحن نعتبر قصيدة ((الهوامش)) هي رسالة نزار إلى عبد الناصر لذلك فعندما منعت القصيدة وصودرت في مصر أرسل نزار رسالة خطية إلى عبد الناصر استجاب لها عبد الناصر واصدر قرارات فورية بمنع كل الإجراءات التعسفية ضد القصيدة وضد الشاعر.

وبالرغم من أن نزار كتب بعد النكسة وعلى مدار ٣١ عاماً عشرات القصائد السياسية كلها مجموعة الغام متفجرة واقلها وطأة يمثل سوطاً يلهب به نزار ظهر الأمة العربية المتلبدة . . إلا أن بعض هذه القصائد كان خطاباً سياسياً موجهاً إلى عبد الناصر ومن هذه القصائد:

هوامش على دفتر النكسة عام ١٩٦٧

الممثلون ، استجواب عام ١٩٦٨

شعراء الأرض المحتلة عام ١٩٦٨

فتح عام ١٩٦٨

القدس عام ١٩٦٩

منشورات فدائية على جدار إسرائيل عام ١٩٧٠

إفادة في محكمة الشعر عام ١٩٧٠

ثلاث قصائد في رثاء عبد الناصر عام ١٩٧٠

هوامش على دفتر النكسة

رسالة غاضبة إلى عبد الناصر

(١)

أنعى لكم يا اصدقائي اللغة القديمة

والكتب القديمة

أنعى لكم

كلامنا المثقوب كالأحذية القديمة

ومفردات العهر والهجاء والشتيمة

أنعى لكم . . أنعى لكم



نهاية الفكر الذي قاد إلى الهزيمة

(٢)

مالحة في فمنا القصائد
مالحة ضفائر النساء
والليل والأستار والمقاعد
مالحة أمامنا الأشياء

(٣)

يا وطني الحزين
حولتني بلحظة
من شاعر يكتب شعر الحب والحنين
لشاعر يكتب بالسكين

(٤)

لان ما نحسه اكبر من أوراقنا
لابد أن نخجل من أشعارنا

(٥)

إذا خسرنا الحرب . . لا غرابة
لأننا ندخلها . .
بكل ما يملكه الشرقي من مواهب الخطابة
بالعنتريات التي ما قتلت ذبابة



لأننا ندخلها
بمنطق الطلبة والربابة
السر في مأساتنا
صراخنا اضخم من أصواتنا
وسيفنا أطول من قامتنا

(٦)

خلاصة القضية
توجز في عبارة
لقد لبسنا قشرة الحضارة
والروح جاهلية

(٧)

بالناي والمزمار
لا يحدث انتصار

(٨)

كلفنا ارتجالنا
خمسين ألف خيمة جديدة

(٩)

لا تلعنوا السماء
إذا تخلت عنكم



لا تلعنوا الظروف

فالله يؤتي النصر من يشاء

وليس حداداً لديكم يصنع السيوف

(١٠)

يوجعني أن اسمع الأنبياء في الصباح

يوجعني أن اسمع النباح

(١١)

ما دخل اليهود من حدودنا

وإنما . . .

تسربوا كالنمل من عيوبنا

(١٢)

خمسة آلف سنة

ونحن في السرداب

ذقوننا طويلة

نقودنا مجهولة

عيوننا مرافئ الذباب

يا أصدقائي

جربوا أن تكسروا الأبواب

أن تغسلوا أفكاركم وتغسلوا الثياب

يا أصدقائي

جربوا أن تقراوا كتاب

أن تكتبوا كتاب

أن تزرعوا الحروف والرمان والأعناب

أن تبحروا إلى بلاد الثلج والضباب

فالناس يجهلونكم في خارج السرداب
الناس يحسبونكم نوعاً من الذئاب

(١٣)

جلودنا ميتة الإحساس
أرواحنا تشكو من الإفلاس
أيامنا تدور بين الزار والشطرنج والنعاس
هل نحن (خير أمة أخرجت للناس)

(١٤)

كان بوسع نفطنا الدافق في الصحارى
أن يستحيل خنجراً . .
من لهب ونار
لكنه . .
وخجلة الأشراف من قريش
وأخجله الأحرار من اوس ومن نزار
يراق تحت أرجل الجواري
نركض في الشوارع
نحمل تحت إبطنا الحبالا
نمارس السحل بلا تبصر
نحطم الزجاج والأقفالا
نمدح كالضفادع
نشتم كالضفادع
نجعل من اقزامنا أبطالا
نجعل من أشرافنا أنذالا
نرتجل البطولة ارتجلا

نقعد في الجوامع

تنابلاً . . كسالى

نشرط الأبيات أو نؤلف الأمثالا

ونشحذ النصر على عدونا

من عنده تعالى

(١٦)

لو أحد يمنحني الأمان

لو كنت أستطيع أن أقابل السلطان

قلت له يا سيدي السلطان

كلابك المفترسات مزقت ردائي

ومخبرك دائماً ورائي

عيونهم ورائي

أنوفهم ورائي

أقدامهم ورائي

كالقدر المحتوم . . كالقضاء

يستجوبون زوجتي

ويكتبون عندهم

أسماء أصدقائي

يا حضرة السلطان

لأنني اقتربت من أسوارك الصماء

لأنني

حاولت أن اكشف عن حزني وعن بلائي

ضربت بالحذاء

أرغمني جندك أن آكل من حذائي

يا سيدي

يا سيدي السلطان

لقد خسرت الحرب مرتين

لأن تصف شعبنا . . ليس له لسان

ما قيمة الشعب الذي ليس له لسان

لأن نصف شعبنا

محاصر كالنمل والجرذان

في داخل الجدران

لو أحد يمنحني الأمان

من عسكر السلطان

قلت له : لقد خسرت الحرب مرتين

لأنك انفصلت عن قضية الإنسان

(١٧)

لو أننا لم ندفن الوحدة في التراب

لو لم نمزق جسمها الطري بالحراب

لو بقيت في داخل العيون والأهداب

لما استباحت لحمنا الكلاب

(١٨)

نريد جيلاً غاضباً

نريد جيلاً يفلح الآفاق

وينكش التاريخ من جذوره

وينكش الفكر من الأعماق

نريد جيلاً قادماً

مختلف الملامح

لا يغفر الأخطاء . . لا يسامح

لا ينحني . .

لا يعرف النفاق



نريد جيلاً

رائداً..

عملاق..

(١٩)

يا أيها الأطفال

من المحيط للخليج انتم سنابل الأمل

وانتم الجيل الذي سيكسر الأغلال

ويقتل الأفيون في رؤوسنا

ويقتل الخيال

يأ ايها الأطفال انتم ـــ بعد ـــ طيبون

وطاهرون كالندى والثلج .. طاهرون

لا تقراوا عن جيلنا المهزوم يا أطفال

فنحن خائبون

ونحن مثل قشرة البطيخ تافهون

ونحن منخورون .. منخورون .. كالنعال

لا تقراوا أخبارنا

لا تقتفوا آثارنا

لا تقبلوا أفكارنا

فنحن جيل القيء . . والزهري . . والسعال

ونحن جيل الدجل . . والرقص على الحبال

يأيها الأطفال:

يا مطر الربيع . . يا سنابل الأمل

انتم بذور الخصب في حياتنا العقيمة

وانتم الجيل الذي سيهزم الهزيمة.

الهوامش

[1] ــ انظر قصيدة هوامش على دفتر النكسة .

[2] ــ الضوء واللعبة ص ٤٧.

[3] ــ نزار قباني شاعر المرأة والسياسة ص٧٨.

[4] ــ تصدر الشاعر المصري صالح جودت حملة الهجوم على نزار قباني ونشر عدة مقالات في الصحف المصرية محاولاً فيها عزل نزار عن القارئ المصري واستعداء السلطات المصرية ضده.

[5] ــ نزار قباني شاعر المرأة والسياسة ص٨٣.

[6] ــ الأعمال النثرية الكاملة ص ٩,٢.

[7] ــالأعمال النثرية الكاملة ص ٩,٢.

[8] ــ نزار قباني شاعر المرأة والسياسة ص٩٨.

[9] ــ نزار قباني وعمر بن أبي ربيعه د. ماهر حسن فهمي.

[10] ــ نزار قباني شاعر المرأة والسياسة.

[11] ــ الأعمال النثرية الكاملة ص ٢٠٩ ــ ٢١١.

[12] ــ الأدب العربي المعاصر في سورية ط٢ ص٩٥ ، سامي الكيالي.

[13] ــ طفولة نهد ص٣٥ ، ٣٦.

[14] ــ الأدب العربي المعاصر في سوريا ص ٢٤ ، ٣٣.

[15] ــ الشعر بين الحربين ص ٢٧٧ ــ ٢٩٢.

[16] ــ نزار قباني شاعر المرأة والسياسية ص ١٠٦ ، ١٠٧.

[17] ــ إبراهيم عبد الستار ، شعراء فلسطين العربية ص٢.

[18] ــ ديوان إبراهيم طوقان ص ٨٧.

[19] ــ الأدب العربي المعاصر في فلسطين ، د. كامل السوافيري ص ١٥٤،١٥٥.

[20] ــ الأعمال النثرية الكاملة ص ٤١٩.

[21] ــ نزار قباني وعمر بن أبي ربيعه ص ١٩٥.

[22] ــ نزار قباني شاعر المرأة والسياسة ص١٢٨.

[23] ــ الأعمال النثرية الكاملة ص٢٢.



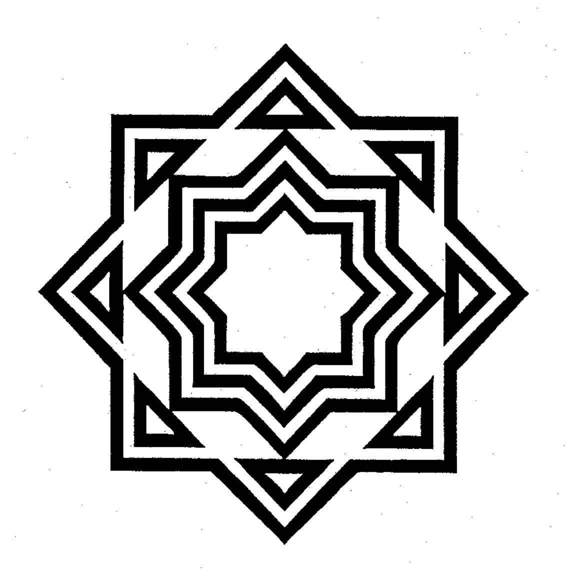
THE BACKGROUNDS
OF NAZAR GABANI'S POLITICAL POETRY

BY

Dr. FADHIL MUHAMMED ABDULLAH AL-ZUBAIDI

(Abstract)

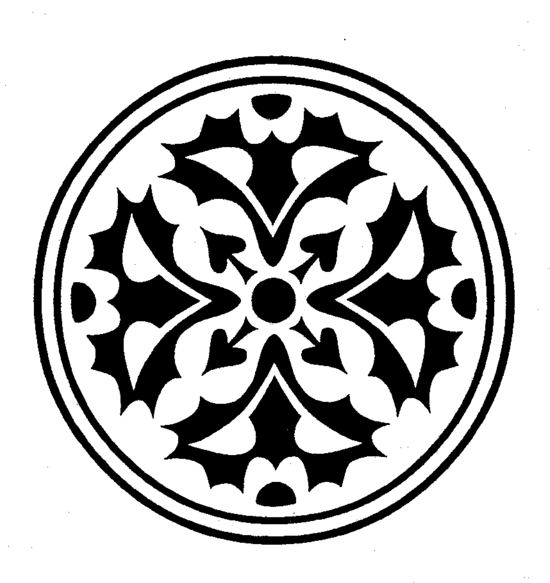
Critics are used to viewing Nazasr Al Qabani as a courtship poet or women poet ignoring the fact that he is a poet in all the sense of the word . thus I directed research towards all they what is related to this rich poetics . so I dealt with the periods which Al Qabani poetry went through . The period that preceded and followed Junes setback , and I found him a courtship and women poet and the national events did not occupy his attention a lot but he was not far away from it . I mean Damascus set back or Palatine[s] setback or the tripartite aggression in 1956 , but after this long period , he became a national part whose poetry became affected by 1967 setback and he directed his range towards the president Jamal Abdula Nasar in his famous poem "A notebook about the Setbacks margins" . He directed his criticism towards the policy of the president Jamal and the Arab leaders, but after the death of Abdula Nasir he shifted suddenly by tackling the virtues of Abdula Nasir regretting his criticism and rage towards him by a new period began in which he was awakened and directed the blame towards the Arab leaders and their neglect in the national events . so this research came to represent all the periods which Al-Qabani went through in his poetic life. I reached at the fact that he is really the poet of women and politics as well as the other poets who interacted with the events.



جذور الشعر السياسي
عند نزار القباني

الجزء الثاني

الدكتور
فاضل محمد عبد الله الزبيدي



هوامش على دفتر النكسة

القصيدة . . والزلزال

مما لا شك فيه أن نكسة ١٩٦٧م كانت هي الزلزال الذي هز كيان نزار قباني كما هز كيان كل مواطن عربي . . . فقد كانت تحولاً هاماً على مستوى الحدث الوطني . . قلبت كل الموازين وقلبت كل الحسابات والتوقعات وغيرت الخريطة الجغرافية والعسكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية للمنطقة العربية بأسرها.

لقد صدمت النكسة بكل ما تولد عنها من انكسار وهوان ومرارة مشاعر نزار قباني وفجرت فيه طاقات كانت كامنة وأيقظت مشاعر كانت نائمة وحولته تحولاً كبيراً وخطيراً وأحدثت فيه ما تحدثه المعجزات، فتحول من شاعر النساء والفراء والعطور إلى شاعر النضال الوطني والجندي الأول في خندق المقاومة واصبحت قصيدة هوامش على دفتر النكسة التي كتبها الشاعر عقب النكسة مباشرة معبراً عن حالة كل العرب بعد النكسة وفقدان الاتزان الذي اصاب الجميع بل اصبحت قصيدة (هوامش على دفتر النكسة) بيانا عسكرياً مكملاً للبيانات العسكرية التي أصدرتها القيادة إبان حرب ١٩٦٧م.

والقصيدة نالت شهرة واسعة جداً وطبعت عدة مرات في ديوان مستقل كأهم مطولات نزار قباني مما جعلنا نقف وقفة فنية عند القصيدة تلقي الضوء على أهم معالمها وملامحها الفنية .

والهوامش بلغت ١٥٠ سطراً شعرياً قسمها الشاعر إلى ١٩ وحدة أو مقطع ونقول هنا وحدة وليست مقطعاً لأن المقاطع من شانها أن تكون متساوية متناسقة متوازنة مثل اللبنات والقوالب التي يبني منها البناء فكل لبنة صورة متكررة من باقي اللبنات . . ولكن الوحدات هنا منها ما هو سطران ومنها ما هو حوالي ١٣ سطراً تطول الوحدات أو تقصر حسب الدافقة الشعورية للشاعر وحسب الاسترسال النفسي والعاطفي.

والقصيدة هي عبارة عن سيناريو كامل يضم العديد من المشاهد واللقطات المتتابعة مثل العمل السينمائي تبدأ بقول الشاعر:

أنعى لكم ياصدقائي. .

وتنتهي بقوله:

وانتم الجيل الذي سيهزم الهزيمة



فبدأها بالهزيمة وأنهاها بالأمل في النصر من خلال جيل جديد غير الجيل المهزوم المكسور الذي فقد كل مقومات الصلاحية كما أن الشاعر انتهج أسلوب التبليغ العربي المعهود عندما يخرج المنادي ومعه الطبل يقرعه بجلد في يده حتى يتجمهر الناس حوله فيلقي على مسامعهم بالخير السعيد أو الحزين أو ينعى لهم أميرا من الأمراء أو كبيراً من الكبراء أو يطلعهم على فرمان أصدره السلطان وينهي بلاغه بعبارة متكررة ((الحاضر يبلغ الغائب))

هكذا كانت وسيلة الإعلام وكانت نشرات الأخبار وكانت إصدارات الصحف.

والشاعر يلقي الخبر مباشرة ((انعي لكم)) فيلقى بالخير مثل الصدمة الكهربائية ليكون التأثير شديداً ومباشراً فيأتي بالغرض المطلوب منه.

— ١ —

والشاعر في ((هوامش على دفتر النكسة)) لا ينعى أميرا ولا كبيراً ولكنه ينعى لنا أنفسنا . . ينعى لنا فقدنا أهم مقومات الإنسان العربي ، ينعى لنا عزتنا وكرامتنا ، ينعى لنا عروبتنا المتمثلة في لغتنا العربية وفكرنا العربي وتاريخنا العربي وأدبنا العربي وكل هذه الكنوز التي فقدت ، أجملها الشاعر في قوله:

(اللغة القديمة — الكتب القديمة — كلامنا المثقوب — مفردات العهر والهجاء الشتيمة — الفكر الذي قاد إلى الهزيمة) فالهزيمة بدأت بهزيمة فكرية وثقافية لهذا الفكر العقيم المثقوب المرقع بالعهر والهجاء والشتيمة الذي كان من مقدمات النكسة.

فالأزمة كما جسدها الشاعر في بدايتها هي أزمة فكر مهترىء مترهل مميع مخنث قاد إلى الهزيمة لأننا مهزومون حتى قبل أن ندخل الحرب ففكرنا مقهور وسيفنا مكسور.

— ٢ —

النتيجة الحتمية لما حدث هي الشعور المرير بالحرب وبآثار الهزيمة وتوابعها لدرجة أن كل شيء على اللسان اصبح بطعم الملح . . حتى القصائد العذبة التي نؤثرها هلي سواها مالحة في فمنا حتى ضفائر النساء والعشق وهو شيء أثير لدى العربي وكذلك الليل بجماله وستائره ومقاعده الوثيرة في سهرات الأنس والملذات كل شيء فقد جماله وبريقه وأصبح مالحاً . . مالحاً.



-٣-

لقد كانت النكسة محطة على طريق الشعر في حياة شاعرنا الكبير ونقطة تحول كبرى حولته من النقيض إلى النقيض من شاعر الفراء والنساء والمخمل والعطور إلى شاعر الرصاص والألغام . . من شاعر الغزل والحب والحنين إلى شاعر يكتب بالسكين يغرسها في اللحم والجلد والعظام.

حاول الشاعر أن يقدم كشف حساب الهزيمة والسبب الحقيقي لما آل إليه حال العرب من هزيمة وترهل وانهزامية فيقول أن السبب يعود إلى إن الإنسان العربي دائماً مقصر في الدور المفروض عليه ومتهاون في الو ظيفة المنوطة به فما نكتبه من أشعاره وما نسطره في الأوراق اقل بكثير من مشاعرنا الحقيقية لذلك يجب أن نخجل من أشعارنا.

ويضيف إننا إذا كنا قد خسرنا المعركة مع إسرائيل فإن هذا شيء طبيعي لا غرابة فيه وإن المقدمات لابد أن تؤدي إلى ما تقتضيه من توالي فالعرب دخلوا المعركة ولم يقدموا لها مقتضياتها . . بل دخلوها بكل ما يملكون من مواهب الشعر والخطابة المنبرية والعنتريات الجوفاء التي لم تسفر عن مقتل ذبابة دخلوا المعركة بأسلوب الطبل والزمر وأناشيد الربابة والبطولات الوهمية المزعومة فصمت دهراً ونطق كفراً ويتمخض الجبل فيلد فاراً.

ـ ٧، ٨ ـ

ويلخص الشاعر القضية في جملة جامعة مانعة اعتبرها فصل الخطاب في الهزيمة وهي ((التخلف)) . . وجعل التخلف هو سبب كل المآسي التي يعيشها الإنسان العربي فنحن عندما دخلنا عصر الحضارة دخلناه بروح جاهلية مليئة بكل عوامل النقص وكل روح التخلف . . لأنه بالناي والمزمار لا يمكن أن يحدث انتصار.

ـ ٩ ـ

وكان الثمن فادحاً . . ثمن تخلفنا ورجعيتنا وارتجالنا كلفنا خمسين ألف ضحية جديدة انضم إليها عشرات الآلاف من اللاجئين الجدد من الفلسطينيين والعرب الذين شردوا وهجروا وطردوا من بيوتهم سواء قصراً بسبب ويلات الحرب أو اختياراً بسبب الدمار والخراب الذي لحق بديارهم فوجدوا أنفسهم فجأة في العراء.

ـ ١٠ ـ

يحمل الشاعر حملة شعواء على التواكلية عند الإنسان الشرقي والعربي على وجه الخصوص فهو دائماً غير منطقي مع الأشياء ومع نفسه إذا حقق النجاح ارجع ذلك النجاح إلى عبقريته الفذة وإذا فشل ارجع الفشل للأقدار والظروف غير المواتية وسوء الحظ الذي يلازمه . . لذلك فهو يقول للعرب لا ترجعوا الهزيمة للظروف غير المواتية ولا تلعنوا الأقدار ولا تعتبوا على السماء التي تخلت عنكم فالله ليس طوع أمركم أو رهن إشارتكم فالله يؤتي النصر من يشاء.

ـ ١١ ـ

يعود الشاعر (فلاش باك) إلى تلقي الخبر المفزع في الصباح ودائماً يرتبط الصباح بالخير حزيناً كان أو سعيداً . . ويشبه الشاعر غضب العرب وصراخهم بعد تلقي الهزيمة بالكلاب النابحة.

ـ ١٢ ـ

يؤكد الشاعر حقيقة هامة وهي أن الهزيمة كانت اجتماعية ونفسية قبل أن تكون هزيمة عسكرية واليهود لم يدخلوا من الحدود وإنما دخلوا من العيوب والأخطاء . . فثوبنا المثقوب المرقع وحالنا المهلهل المهترىء هو السبب في الاختراق والاحتلال.

-١٣-

يعري الشاعر العرب ويكشف عوراتهم وينزع حتى أوراق التوت فيكشف المستور ويظهر المخبوء .. ويقول انهم ظلوا خمسة آلف سنة في حالة من التوقع والانعزال يعيشون في السراديب المظلمة شانهم شان أهل الكهف فطالت ذقونهم بصورة مزرية أصبحت عملتهم قديمة لا تناسب العصر وعيونهم مليئة بالنعاس يعف عليها الذباب ويحاول الشاعر أن يدلهم على ((روشتة)) الخروج من المحنة وذلك بان يكسروا الأبواب المغلقة وان ينفتحوا على العالم بان يغيروا من أفكارهم القديمة المبتذلة وثوابهم المهلهلة المتسخة وان يخرجوا من حالة الجهل التي هم عليها وان يقراوا كتاباً أو يكتبوا كتاباً أي يمارسون مهنة الفكر للقضاء على حالة التردي الفكري والأمية الثقافية التي غشيت الحياة العربية بعد أن ابتعدوا عن العالم فابتعد العالم عنهم واصبح يجهلهم بل يكاد يحبسهم نوعاً من الذئاب المستأنسة الأليفة.

ـ ١٤ـ

يقترب الشاعر من الحقيقة أكثر وأكثر ويحاول تعريتها دون وجل أو خجل ويدس المشرط في الجرح لينبشه حتى يخرج ما فيه من قيح فيقول أن الإنسان العربي أصبح على درجة كبيـرة مـن الـبلادة والبرود الشعوري والإفلاس الروحي واستسلم العرب للدجل والشعوذة من زار ولهو وعبـث ولعـب ونوم ونعاس وحسبنا أن نتشدق بمآثرنا وأمجادنا هل نحن حقا من قال فينا الله تعالى (كنتم خير أمـة أخرجت للناس) .

ـ ١٥ ـ

يبدأ الشاعر في تعرية الواقع العربي قبل حرب حزيران ويقدم المقدمات والإرهاصات التـي مهـدت لحدوث نكسة ٦٧ أو التي كانت النكسة نتيجة طبيعية لها . . فيضرب مثلاً لذلك بان النفط العربي كان يمكن أن يستخدم خنجراً سياسياً وسلاحاً قوياً ضد الاعتداء ولكنه للأسف الشديد يستخدمه أبناء الخليج في الصرف على النساء والإنفاق على السهرات الحمراء وفي المقابل تمارس السحل والتعذيب ضـد أبناء الوطن . . ونحن دائماً صغار نرتكب الصغار وتصدر كل تـصرفاتنا عـن انفعـالات طائـشة متسرعة وما يصاحب ذلك من سوء التقدير للأمور فنرفع الوضيع ونضع الشريف ونقضي وقتنا فـي المساجد بدون ضرورة مثل تنابلة السلطان نؤلف الأمثال أو نقرض الأشعار ثم نطلب النصر مـن الله ولم نقدم مقدماته.

ـ ١٦ ـ

يتوجه الشاعر بخطابه إلى جمال عبد الناصر الذي يرمز إليه بالسلطان فيقول له أن كـلاب حراسـته ورجال مخابراته يتابعونه مثل ظله ويكشف له من أمثلة ممارسا تهم اللأنسانية مثل اقتحـام حرمـات البيوت واستجواب النساء ثم التعدي بالضرب والتعذيب وإهدار آدمية الإنسان.

وبعد أن يخلص من مظلمته الشخصية ينتقل إلى قضية عامة كي يبرر للسلطان سبب خسارة معركتيه أمام إسرائيل (معركة ١٩٥٦ ، ١٩٦٧) ويجملها في حالة الخرس التي فرضت على الشعب ويتساءل الشاعر عن قيمة الشعب الذي ليس له لسان وان هذا الشعب محاصر داخـل نفـسه مـسجون داخـل الجدران محاصر كالنمل والجرذان.

ثم يبرر أسباب الهزيمة وفي مقدمتها الانفصال عن قضية الإنسان والتخلي عـن قـضية ((الوحـدة العربية)) ودفنها في التراب ومزقناها بالتراب ولو أننا جعلناها حلمنا الأبدي لما اسـتباح المعتـدون لحمنا ودمنا.



ـ ١٧ ـ

أدرك الشاعر بحسه وبصيرته أن المهزوم لا يصنع انتصاراً لأن فاقد الشيء لا يعطيه . . كما أدرك أن الجيل الحالي فقد مكسبات الطعم وفقد مقومات الصلاحية فأهال الشاعر عليه التراب وأحاله على التقاعد . . واتجه بامله وحلمه إلى جيل جعله معقد الآمال ، هذا الجيل الذي وصفه نزار بأنه ((جيل غاضب يستطيع أن يستشرف الآفاق و ((ينكش)) في جذور التاريخ ويبحث في التراب ليبحث عن طريق للخلاص . . وقد قدم مقومات وصفات هذا الجيل الجديد وهي جيل غاضب ـ مختلف الملامح ـ لا يغفر الأخطاء ـ لا يعرف النفاق ـ قوي عملاق)) .

ـ ١٨ ـ

وكما قلنا أدرك الشاعر أن الجيل القادم هو جيل النصر والخلاص فاتجه إلى الأطفال من المحيط إلى الخليج وطالبهم بكسر الأغلال ـ وقتل أفيون النعاس والأرحام وطلب منهم أن ينسوا الأجيال المهزومة الخائنة حتى لا تسري إليهم العدوى لأننا جيل ملعون خائب وتافه ـ مرضى ـ دجالون راقصون على الحبال.

ثم يتوجه بالخطاب إلى الأطفال باعتبارهم الأمل في الخلاص فانتم بذور الخصب في حياتنا العقيمة وانتم الجيل الذي سيهزم الهزيمة.

كتابات على جدران المنفى

(١)

يا سيدتي :

كيف أصور هذا العصر الا معقول ،

نسيت الوصفا.

كنت أظن الكلمة بيتي

فإذا بهم . . سرقوا الباب . .

وسرقوا السقفا . .

سرقوا الورق الأبيض منا ،

سرقوا الحرفا .



ماذا نأكل ؟

ماذا نشرب ؟

كيف نعبر عن أنفسنا ؟

أنا نأكل ـــ يا سيدتي ـــ قمعا

أنا نشرب ـــ يا سيدتي ـــ خوفا

أين سنذهب يا سيدتي ؟

إن عبور الشارع خطر .

إن ركوب المصعد خطر .

والسيارة خطر .

والدراجة خطر.

والطيارة خطر .

ليس هناك مكان .

يجلس فيه الكاتب ،

ليس هناك مقهى . .

نصف الجملة في الجبانة . .

نصف الفكر في المستشفى . . .

(٢)

يا سيدتي:

ماذا يبقى من إنجيل الثورة ،

حين تقرر قتل مغنيها ؟

ماذا يبقى من كلمات الثورة ،

حين ستمضغ أكباد بنيها ؟

ماذا يبقى ؟

حين تخاف الدولة من رائحة الورد ،

فتحترق كل مراعيها . .



ماذا يبقى من فلسفة الثورة ،

حين تخاف طلوع الشمس ،

وتنتف ريش كناريها ؟

ماذا يبقى ؟

ماذا يبقى ؟

ماذا يبقى ؟

حين تبول الثورة فوق كلام نبييها . .

(٣)

يا سيدتي:

اطلب عفوك . .

إن لم اكتب في عينيك قصيدة شعر

إن العازف نسى العزفا.

كيف احبك ، يا سيدتي ؟

إن مباحث أمن الدولة ،

تلقى القبض على الأحلام . .

وترسل أهل العشق إلى المنفى . .

(٤)

يا سيدتي . . يا سيدتي

كنت قديماً أقرا جسمك

سطراً سطراً . .

حرفاً حرفاً . .

كنت قديماً أشعل في نهديك النار . .

وازرع بينهما سيفا . .

أما اليوم . . فا صبح شكل النهد ،

يشابه أسوار المنفى . .



يا سيدتي . يا لؤلؤتي . يا وحدتي .
كيف أمارس فعل الحب ..
وطعم الجنس له طعم المنفى ؟ ؟

(٥)

يا سيدتي .
كيف أقاوم هذا العصر المملوكي ،
وهذا الحقد النيروني ،
وهذا القتل المجاني ،
وهذا العنف ؟
كيف سأوقف هذا المد الا قومي ،
وهذا الفكر التجزيئي ،
وهذا المطر الكبريتي ،
وهذا النزفا ؟
كيف نعبر عن مأزقنا ؟
كيف نعبر عما يكسر في داخلنا ؟
كيف سنتلو آي الذكر على جثتنا ؟
إن مباحث أمن الدولة تطلب منا
أن لا نضحك . .
أن لا نبكي . .
أن لا ننطق . .
أن لا نعشق . .
أن لا نلمس كف امرأة . .
أن لا ننحب ولداً
أن لا نرسل أي خطاب



أن لا نقرا أي كتاب

إلا عن أحوال الطقس ، وإلا عن أسرار الطبخ ،

فتلك قوانين المنفى . . .

(٦)

يا سيدتي :

ماذا افعل لو جاءتني أمي في الأحلام ؟

ماذا افعل لو ناداني فل دمشق . .

وعاتبني تفاح الشام ؟

ماذا افعل لو عاودني طيف أبي ؟

فالتجأ القلب إلى عيني الزرقاوين .

كسر حمام . .

يا سيدتي :

كيف أقولك شعراً ؟

كيف أقولك نثراً ؟

كيف أقولك ، يا سيدتي ، دون كلام ؟

(٧)

يا سيدتي :

كيف ابشر بالحرية . .

حين تواجه حكماً بالإعدام ؟

كيف آكل من خبز الحكام

وأولادي من غير طعام ؟

يا سيدتي :

إني رجل لم يتخرج من بارات السلطة ،

في أحد الأيام . . .



أو اشغلت وظيفة قرد . .

بين قرود وزارات الإعلام ! !

يا سيدتي :

إني رجل لا أتوارى خلف حروفي

أو أتخبأ تحت عباءة أي إمام . .

يا سيدتي : لا تهتمي .

فأنا اعرف كيف أكون كبيراً . .

في عصر الأقزام . . .

(٨)

يا سيدتي : لا تهتمي

سوف أظل احبك . .

حتى افتح نفقاً تحت البحر . .

واثقب حيطان المنفى .

لا تهتمي . .

لا تهتمي . .

لا تهتمي . .

إن المنفى في غابات الكحل الأسود

ليس بمنفى . . .

رسالة عتاب إلى الزعيم



وعندما اصدر نزار قصيدته ((الهوامش)) أحدثت كما قلنا زلزالاً في الوجدان العربي وأقامت الدنيا على نزار ويقول نزار في ذلك :

(ولكي يكتمل حديثنا عن حزيران وعما نالني بسببه من صلب ورجم وتشهير وتخوين أجد أن الأمانة التاريخية تقتضي أن أسجل للرئيس الراحل جمال عبد الناصر موقفاً لا يقفه عادة إلا عظماء النفوس واللماجون والموهوبون الذي انكشفت بصيرتهم وشفت دؤيتهم فارتفعوا بقيادتهم وتصرفاتهم إلى أعلى مراتب الإنسانية والسمو الروحي .

فلقد وقف الرئيس عبد الناصر إلى جانبي يوم كانت الدنيا ترعد وتمطر على قصيدتي (هوامش على دفتر النكسة) وكسر الحصار الرسمي الذي كان يحاول أن يعزلني عن مصر بتحريض وإيحاء من بعض الزملاء الذين كانوا غير سعداء لا تساع قاعدتي الشعبية في استعداء السلطة على حتى أن أحدهم طالب وزارة الإعلام بمقال نشره في إحدى المجلات القاهرية بحرق كتبي والامتناع عن إذاعة قصائدي المغناة من إذاعات القاهرة ووضع اسمي على قوائم الممنوعين من دخول مصر) .

يضيف نزار قائلاً : (وحيث شعرت أن الحملة خرجت من نطاق النقد والحوار الحضاري ودخلت نطاق الوشاية الرسمية قررت أن أتوجه مباشرة إلى الرئيس جمال عبد الناصر وبالفعل بعثت إليه بالرسالة التالية :

رسالة إلى عبد الناصر

سيادة الرئيس جمال عبد الناصر

في هذه الأيام التي أصبحت فيها أعصابنا رماداً وطوقتنا الأحزان من كل مكان يكتب إليك شاعر عربي يتعرض اليوم من قبل السلطات الرسمية في الجمهورية العربية المتحدة لنوع من الظلم لا مثيل له في تاريخ الظلم . وتفصيل القصة أنني نشرت في أعقاب نكسة الخامس من حزيران قصيدة عنوانها (هوامش على دفتر النكسة) أودعتها خلاصة ألمي وتمزقي وكشفت فيها عن مناطق الوجع في جسد أمتي العربية لا اقتناعي أن ما انتهينا إليه لا يعالج بالتواري والهروب وإنما بالمواجهة الكاملة لعيوبنا وسيئاتنا .

وإذا كانت صرختي حادة وجارحة وأنا اعترف سلفاً بأنها كذلك فلأن الصرخة تكون بحجم الطعنة ولأن النزيف يكون بمساحة الجرح .



من منا يا سيادة الرئيس لم يصرخ بعد ٥ حزيران ؟ . . من منا لم يخدش السماء بأظافره ، من منا لم يكره نفسه وثيابه وظله على الأرض .

أن قصيدتي كانت محاولة لإعادة تقييم كما نحن بعيداً عن التبجح والمغالاة والانفعال وبالتالي كانت محاولة لبناء فكر عربي جديد يختلف ملامحه وتكوينه عن الفكر ما قبل ٥ حزيران .

إنني لم اقل كثيراً مما قاله غيري ولم اغضب اكثر مما غضب غيري ، وكل ما فعلته أنني صغت بأسلوب شعري ما صاغه غيري بأسلوب سياسي أو صحفي ، وإذا سمحت لي يا سيادة الرئيس أن أكون اكثر وضوحاً وصراحة قلت إني لم أتجاوز في قصيدتي نطاق أفكارك في النقد الذاتي ، يوم وقفت بعد النكسة تكشف بشرف وأمانة حساب المعركة وتعطي ما لقيصر لقيصر وما لله لله .

إنني لم اخترع شيئاً من عندي فالخطاء العرب النفسية والسياسية والسلوكية مكشوفة كالكتاب المفتوح .

وماذا تكون قيمة الأدب يوم يجبن عن مواجهة الحياة بوجهها الأبيض والأسود معاً ومن يكون الشاعر يوم يتحول إلى مهرج يمسح أذيال المجتمع وينافق له .

لذلك أوجعني يا سيادة الرئيس أن تمنع قصيدتي من دخول مصر وان يفرض حصار رسمي على اسمي وشعري في إذاعة الجمهورية العربية المتحدة وصحافتها والقضية ليست قضية مصادرة شاعر لكن القضية أعمق وابعد .

القضية هي أن نحدد موقفنا من الفكر العربي كيف نريده . . حراً نصف حر شجاعاً أم جباناً . . نبياً أم مهرجاً .

القضية هي أن يسقط أي شاعر تحت حوافر الفكر الغوائي لأنه تفوه بالحقيقة والقضية أخيرا هي أن نعرف ما إذا كان تاريخ ٥ حزيران سيكون تاريخاً نولد فيه من جديد بجلود جديدة وأفكار جديدة ومنطق جديد .

قصيدتي أمامك يا سيادة الرئيس أرجو أن تقراها بكل ما عرفناه عنك من سعة أفق وبعد رؤية ولسوف تقتنع برغم ملوحة الكلمات ومرارتها بأنني كنت انقل عن الواقع بأمانة وصدق وارسم صورة طبق الأصل لوجهنا الشاحبة والمرهقة .

لم يكن بإمكاني وبلادي تحترق الوقف على الحياد . . فحياد الأدب موت له لم يكن بوسعي أن اقف أمام جسد أمتي المريض أعالجه بالأدعية والحجابات والضراعات.

فالذي يحب أمته يا سيادة الرئيس يطهر جراحها بالكحول ويكون ــ إذا لزم الأمر المناطق المصابة بالنار .

سيادة الرئيس . .



لا أريد أن اصدق أن مثلك يعاقب النازف على نزيفه والمجروح على جرحه ويسمح باضطهاد شاعر عربي أراد أن يكون شريفاً وشجاعاً في مواجهة نفسه أمته فدفع ثمن صدقه وشجاعته .

يا سيدي الرئيس . .

لا اصدق أن يحدث هذا في عصرك .

نزار قباني

بيروت في ٣٠ تشرين أول (أكتوبر) ١٩٦٧

ولم يطل صمت عبد الناصر ولم تمنعه مشاكله الكثيرة وهمومه التي تجاوزت هموم البشر من اهتمام برسالتي . فقد روى لي أحد المقربين منه انه وضع خطاً تحت اكثر مقاطع الرسالة وكتب بخط يده التعليمات الحاسمة التالية :

- لم أقرا قصيدة نزار قباني إلا في النسخة التي أرسلها إلي وأنا لا أجد أي وجه من وجوه الاعتراض عليها .
- تلغى كل التدابير التي قد تكون اتخذت خطأ بحق الشاعر ومؤلفاته ويطلب إلى وزارة الإعلام السماح بتداول القصيدة .
- يدخل الشاعر نزار قباني إلى الجمهورية العربية المتحدة متى أراد ويكرم فيها كما كان في السابق.

التوقيع

جمال عبد الناصر

بعد كلمات جمال عبد الناصر تغير الطقس وتغير اتجاه الرياح وتفوق المشاغبون وانكسرت طبولهم ودخلت الهوامش إلى مصر بحماية جمال عبد الناصر ورجعت أنا إلى القاهرة مرة بعد مرة لأجد شمس مصر اشد بريقاً ونيلها اكثر اتساعاً ونجومها اكثر عدداً[1].

---

[1] ـ نزار قباني / قصتي مع الشعر .



النفس الأخير

وكما كان أول جندي في خندق العرب يطلق الرصاص على عبد الناصر ويحمله وحده تبعات الهزيمة ويبعث إليه دون غيره بفاتورة الحساب الثقيل وينصب نزار من نفسه متحدثاً باسم الشعب العربي يفتح معه الملفات القديمة وينكا الجرح الملتئمة وينبش القبور ويستخرج جثث المتى ويستعدى عليه كل الجماهير العربية يغضبها وحزنها وثورتها .. باعتبار جمال عبد الناصر هو التجسيد الحي للحلم العربي الكبير والأمل الباقي لكل الملايين العربية . . رغم كل ذلك فعندما سقط عبد الناصر شهيد الهموم والأحزان والصراعات . . أصيب نزار بهستريا وكان الخبر مثل الصاعقة التي هزت وجدانه من الأعماق . . فرح يبعث إليه بعدة رسائل على شكل قصائد رثاء وكأنه يكفر عن كل أخطائه وخطاياه في حق الزعيم . . كتب له أربع قصائد يعتذر إليه باسم الجماهير العربية أيضا عما حدث منهم من خيانات وغدر واستهتار وعدم اهتمام وسلبية ونفاق ومداهنة وتخاذل وانهزامية . .
لقد كان نزار عظيماً حين هاجم وعظيماً حين مدح وكان في الحالتين منفعلاً بحرارة وصدق ولكنه انفعال موضوعي .

رثاء جمال عبد الناصر

(١)

قتلناك . . يا أخر الأنبياء
قتلناك . .
ليس جديداً علينا اغتيال الصحابة والأولياء
فكم من رسول قتلنا . .
وكم من أمام . .
ذبحناه وهو يصلي صلاة العشاء
فتاريخنا كله محنة
وأيامنا كلها كر بلاء . .

(٢)

نزلت علينا كتاباً جميلاً

ولكننا لا نجيد القراءة . .

وسافرت فينا لأرض البراءة

ولكننا . . ما قبلنا الرحيلا ..

تركناك في شمس سيناء وحدك ..

تكلم ربك في الطور وحدك

وتعري . .

وتشقي . .

وتعطش وحدك . .

ونحن هنا القرفصاء

نبيع الشعارات للأغبياء

ونحشو الجماهير تبناً وقشا

ونتركهم يعلكون الهواء . .

(٣)

قتلناك . .

يا جبل الكبرياء

وآخر قنديل زيت . .

يضيء لنا ليالي الشتاء

وآخر سيف من القادسية

قتلناك نحن فكلتا يدينا

وقلنا المنية . .

لماذا قبلت المجيء إلينا ؟

فمثلك كان كثيراً علينا . .

سقيناك سم العروبة حتى شبعت . .



رميناك في نار عمان . . حتى احترقت

أريناك غدر العروبة حتى كفرت

لماذا ظهرت ؟

فنحن شعوب من الجاهلية

ونحن التقلب . .

نحن التذبذب . .

والباطنية . .

نبايع أربابنا في الصباح

وناكلهم حين تأتى العشية . .

(٤)

قتلناك . .

يا حبنا وهوانا . .

وكنت الصديق وكنت الصدوق

وكنت أبانا . .

وحين غسلنا يدينا . . اكتشفنا

بانا قتلنا منانا . .

وان دماك فوق الوسادة . .

كانت دمانا

نفضت غبار الدراويش عنا . .

أعدت إلينا صبانا . .

وسافرت فينا إلى المستحيل

وعلمتنا الزهو والعنفوانا . .

ولكننا . .

حين طال المسير علينا

وطالت اضافرنا . . ولحانا



قتلنا الحصانا . .

فتبت يدانا . .

فتبت يدانا . .

أتينا إليك . . بعاهاتنا . .

وأحقادنا .. وانجرا فاتنا ..

إلى أن ذبحناك ذبحا

بسيف أسانا . .

فليت في أرضنا ما ظهرت . .

وليتك كنت نبي سوانا . .

(٥)

أبا خالد . . يا قصيدة شعر . .

تقال . .

فيخضر منها المداد . .

إلى أين ؟

يا فارس الحلم تمضى . .

وما الشوط . . حين يموت الجواد ؟

إلى أين ؟

كل الأساطير ماتت . .

بموتك . . وانتحرت شهرزاد

وراء الجنازة . . سارت قريش

فهذا هشام . .

وهذا زياد . .

وهذا بريق الدموع عليك

وخنجره تحت ثوب الحداد

وهذا يجاهد في نومه . .

وفي الصحو . .



يبكي عليه الجهاد . .

وهذا يحاول بعدك ملكا . .

وبعدك . .

كل الملوك رماد . .

وفود الخوارج . . جاءت جميعاً

لتنظم إليك . .

ملاحم عشق . .

فمن كفروك . .

ومن خوفوك . .

ومن صلبوك بباب دمشق ..

أنادي عليك . . أبا خالد

واعترف أنى أنادي بواد

واعرف انك لن تستجيب

وان الخوارق ليست تعاد . .

الفكر السياسي عند نزار

حين نطالع الملف السياسي لقصائد نزار قباني ذلك الملف الذي استغرق إعداده حوالي ثلاثين عاماً نستطيع من خلاله أن نصنف الشاعر سياسياً وان نضع أيدينا على ملامح الفكر السياسي عند نزار قباني بالرغم انه لم يشغل وظيفة سياسية ولم يكن زعيم حزب أو عضواً في منظمة أو رابطة جناح سياسي ولم يعرف ولاؤه أو انتماؤه لأي من التيارات السياسية في الوطن العربي فلم يكن يمينيا ولا يسارياً ولا برجوازياً ولا راديكالياً ولا ليبرالياً ولا موضوعاً في أي من خانتان الفكر السياسي .

ولكن إذا نقبنا وراء بصمات الشاعر في قصائده المختلفة نستطيع القول انه كان اشتراكياً ينحاز إلى الطبقة الشعبية من عمال وفلاحين ومواطنين فقراء بسطاء وانه كان ليبرالياً يدافع عن الحريات الخاصة والعامة ويقف في وجه الطغاة والمستبدين وضد كل وسائل القمع والتعذيب والتنكيل بالمواطن وانه كان قومياً عاش ومات من اجل الحلم القومي الكبير مدافعاً عن القضايا القومية وانه كان وحدوياً يضع الوحدة العربية الكبرى نصب عينيه ويرى فيها الحل الأمثل لأزمة العرب ويرى أنها نتيجة وضرورة حتمية لكل العرب ومن اجل ذلك حارب كل دعاة الطائفية والانفصال والتوقع وتقسيم الوطن العربي كانتونات صغيرة يسهل على الأعداء التهامها .

فلقد كان إيمان نزار قوياً بالوحدة العربية وهي الوجهة الحقيقية والترجمة الأمنية للحلم العربي والقومية العربية التي تتجسد من خلالها كل الأماني القومية ويعتبر الوحدة العربية هي السبيل الوحيد لا ستعمادة الكرامة والقوة والمجد والانتصار وبالتالي فإن إنكار الوحدة سبب لكل الهزائم ومنها هزيمة ١٩٦٧م.

لو أننا لم ندفن الوحدة في التراب
لو لم نمزق جسمها الطري بالحرب
لو بقيت في داخل العيون والأهداب
لما استباحت لحمنا الكلاب

والوحدة العربية هي تلاحم القوي النضالية وترابط الجماهير العربية ووقوفها صفاً واحداً في وجه كل القوى المعادية لذلك فقد آلم نزار ذلك التمزق الذي قضى على الوحدة العربية المامولة وبلاً من أن يزداد العرب اقتراباً واتحاداً . . ازدادوا تمزقاً وشتاتاً.

وأين هو الشارع العربي

الذي كان يمضغ لحم الطغاة

ويخترع العاصفة

وكيف خرجنا من الحلم الوحدوي الكبير

لندخل ثقباً صغيراً

يسمونه الطائفة[٢]

وفي قصيدة ((قرص الأسبرين)) التي كتبها في بيروت عام ١٩٨٥ يجلس نزار مع نفسه يستعرض حجم المأساة . . وحجم الخديعة وحجم الوهم الذي عاش فيه سنوات عمره وعاشت معه الجماهير العربية تحلم بالوطن العربي الكبير الذي تحول إلى تجمعات ثم أقطار مستقلة منفصلة ثم تحول الوطن الواحد إلى كردونات صغيرة تمزقها الطائفية لدرجة أن الشاعر يخجل من هذا الوطن الضئيل . . الحقير . . الصغير المهان الجبان الخائف مثل الفار المذعور المهزوم مثل السيف المكسور :

لا

ليس هذا وطني الكبير

لا

ليس هذا الوطن المربع الخانات كالشطرنج

والقابع مثل نملة في اسفل الخريطة

هو الذي قال لنا مدرس التاريخ في شبابنا

بأنه موطننا الكبير

فالوطن هنا ينكره التاريخ مثلما أنكرته الجغرافيا . .

لا

ليس هذا الوطن المصنوع من عشرين كانتونا

ومن عشرين دكانا

ومن عشرين صرافاً

وحلاقا

---

[٢] ـ تزوجتك أيتها الحرية ، ص ١١٧.



وشرطيا

وطبالاً . . وراقصة

يسمى وطني الكبير

وهذا الوطن بحكم عوامل التأقلم . . والتشرذم والتقزم اصبح فرقاً وشرائح ودكاكين احتل كل قطعة منه حاكم بأمره يتصرف على هواه دون الرجوع إلى عقل أو برلمان أو قاعدة شعبية أو حتى إلى حنكة شخصية :

لا

ليس هذا الوطن المحكوم من عشرين مجنونا

ومن عشرين سلطانا

ومن عشرين سجانا

يسمى وطني الكبير

والوطن ليس هو الجغرافيا فقط . . ليس هو المعنى الأطلسي للمكان بل هو مرتبط مع المواطن . . ذلك الإنسان الذي طحنته الأحداث وعركته برحاها فامتلأ بكل الأمراض التي تسمى عادة مخلفات الحرب :

لا

ليس هذا الوطن السادي . . والفاشي

والشحاذ . . والنفطي

والفنان . . والأمي

والثوري . . والرجعي

والصوفي . . والجنسي

والشيطان . . والنبي

والفقيه والحكيم والإمام

هو الذي كان لنا في سالف الأيام

حديقة الأحلام

وينظر نزار من حوله إلى وطنه فيراه كالأبله المعتوه:



لا

ليس هذا الأبله المعاق . . والمرقع الثياب

والمجذوب . . والمغلوب

والمشغول في النحو وفي الصرف

وفي قراءة الفنجان والتبصير

لا

ليس هذا وطني الكبير

فكل هذه الأمراض من جهل وسيلة وخرافات أدت إلى هزيمة الوطن وهزيمة الشعب:

لا . . .

ليس هذا الوطن المنكس الأعلام

والغارق في مستنقع الكلام

والحافي على سطح من الكبريت والقصدير

لا . . .

ليس هذا الرجل المنقول في سيارة الإسعاف

والمحفوظ في ثلاجة الأموات

والمعطل الإحساس والضمير

لا . . .

ليس هذا وطني الكبير

هذا الوطن الكبير . . اصبح صغيراً صغيراً جداً مثل علبة السردين . . مثل حبة أسبرين هان على أهله فكان على الناس أهون :

يا وطني

يا أيها الضائع في الزمان والمكان

والباحث في منازل العربان

عن سقف وعن سرير

لقد كبرنا واكتشفنا لعبة التزوير

فالوطن المن اجله مات صلاح الدين

يأكله الجائع في سهوله



كعلبة السردين

والوطن المن اجله قد غنت الخيول في حطين

يبلعه الإنسان في سهوله

كقرص أسبرين

وقد ظل إحساس نزار بفقدان الوطن والشعور بعدم التمتع بحق المواطنة يلح عليه خاصة أبناء فلسطين الذين فقدوا الهوية وفقدوا الوطن :

إن النملة تملك وطنا

إن الدودة تملك وطنا

إن الضفدع يملك وطنا

إن الفأر تملك وطنا

إن الأرنب يملك وطنا

والسحلية والصرصار

وأنا ما ملكني أحد وطنا

ولذا أسكن يا سيدتي

وطنا بالإيجار[٣]

فهو غريب في الوطن حتى يشعر أنه يسكن وطناً بالإيجار . . وكلما قام العربي بتشييد وطن وأعماره جاء المغتصب المحتل سكن فيه والتهم خيرا ته وطرد أهله:

كل نهار

أبني وطناً أسكن فيه

فتجوفه الأمطار[٤]

ورغم سفر الألم وجبل المآسي وقاموس الهزائم والانكسارات والتمزقات العربية ظل نزار مؤمناً لآخر لحظة في عمره وآخر قطرة في دمه بأن الوحدة العربية آتية لا محالة وأن الحلم القومي ـ وإن كان مجرد حلم ـ فإن الأحلام يمكن أن تتحقق :

ما زلت برغم صراع الأخوة

أخترع الأحلام

---

[٣] ـ قصائد مغضوب عليها ، نزار قباني ص ٤٨.

[٤] ـ المصدر السابق ص ٤٤.



وأقول بأن الله
سيجمع يوماً ما بين الأرحام
جسدي يشتاق إلى بغداد
وقلبي عند نساء الشام°

وعندما وقعت مصر اتفاقية السلام مع إسرائيل قامت الدنيا ولم تقعد وهبت عليها رياح الخماسين من كل جهة وهاجمها كل العرب حتى أولئك الذين كانوا يتفاوضون سراً من أجل السلام . . وحتى الذين حفيت أقدامهم جرياً وراء السلام وقفوا ضد مصر عندما وقعت اتفاقية السلام . . وتشكلت جبهة المعارضين للسلام الإسرائيلي من خمس دول أطلقت على نفسها جبهة الصمود والتصدي . .
وانتصر أنصار السلام . . وانفرط عقد ((الصامدين)) وبدأت الدول العربية ((تهرول)) وراء السلام وتبحث عن الفرص الضائعة التي أتاحها لهم المفاوض المصري . . ولكن الظروف السياسية كانت قد تغيرت . . ودخل الفلسطينيون في مفاوضات مخاضها عسير وولادتها قيصرية . . وفي ((أوسلو)) و ((مدريد)) وقع الفلسطينيون اتفاقيات فرضت عليهم فرضاً بعد أن أضاعوا السلام الذي قدم لهم على طبق من ذهب أثناء توقيع مصر اتفاقية كامب ديفيد . .
الاتفاق الذي وقعه المهرولون يستخدم ألفاظاً موجعة بالغة الحد تغوص في اللحم العربي كما تغوص الخناجر فلا تخرج إلا بالدم.

بعد خمسين سنة
ما وجدنا وطناً نسكنه
إلا السراب
ليس صلحاً
ذلك الصلح الذي أدخل كا الخنجر

° ـ تزوجت أيتها الحرية ص ٣٧.



فينا

أنه فعل اغتصاب

وقد اختار أن تكون خاتمة المقطع كلمة اغتصاب لم يقل سرقة أو نهباً ؛ أو لصوصية لأنها جرائم وأوجاع قد تهون عند العربي إلا كلمة اغتصاب لأنها تمس الشرف والعرض وهو أغلى ما يمكن الإنسان العربي .

وكان أهم ما لفت نزار في توقيع المعاهدة هي الحضور الأمريكي والضغط الأمريكي بل والهيمنة الأمريكية التي صبغت كل شيء بصبغتها.

كان نصف المهر بالدولار

كان الخاتم الماسي بالدولار

كانت أجرة المأذون بالدولار

والكعكة كانت هبة من أمريكا

وغطاء العرس والأزهار والشمع

وموسيقى المارينز

كلها صنعت في أمريكا

أنه يريد أن يجمل القضية في جملة واحدة هي أن هذه المعاهدة ((صناعة أمريكية)) .

وانتهى العرس ولم تحضر فلسطين الفرح

بل رأت صورتها مبثوثة عبر كل الأقنية

ورأت دمعتها تعبر أمواج المحيط نحو شيكاغو وجيرسي . . وميامي

وهي مثل الطائر المذبوح تصرخ

ليس هذا العرس عرسي

ليس هذا الثوب ثوبي

ليس هذا العار عاري

أبداً يا أمريكا

وكان انتقاد نزار للمهرولين يعبر عن موقف شخصي . . وموقف جماعي. فالموقف الشخصي هو قناعة نزار بحتمية شعار ((ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة)). . وحتمية النضال القومي والكفاح المسلح حتى آخر طلقة رصاص وحتى آخر قطرة دم . ولآن نزار كما قلنا آمن بالمقاومة الفلسطينية اشترى البندقية وقيد اسمه في سجل المقاتلين . . ووضع رأسه على كفه ودخل في خندق واحد مع المقاتلين . . أما الموقف الجماعي فهو إيمانه بأن الأدوار السياسية يجب أن توزع بذكاء ومهارة وأن تطرق أبواب السلام عندما يكون طرفها واجباً . . وتدق طبول الحرب عندما يكون دق الطبول مطلوباً .. وأن يتبادل العرب المواقع والأدوار . . وأن يتفقوا لعبة تقسيم أدوار اللعبة . . لأن السياسة حرب أخطر من حرب الرصاص والبنادق ولكن الذي حدث أن كل الذين تخلفوا عن السلام . . عادوا يهرولون . . ويتسابقون على السلام ويقفون في طوابير على أبواب مدريد . . وأوسلو . . وواي ريفر بلانتش . . وغيرها وغيرها من أكشاك المعاهدات ودكاكين المفاوضات السلمية . .

المهرولون

(١)

سقطت آخر جدران الحياء

وفرحنا . .

ورقصنا . .

وتباركنا بتوقيع سلام الجبناء

لم يعد يرعبنا شيء

ولا يخجلنا شيء

فقد يبست فينا عروق الكبرياء . .

(٢)

سقطت . .

ـــ للمرة الخمسين ـــ عذريتنا



دون أن نهتز . . أو نصرخ . .

أو يرعبنا مرأى الدماء . .

ودخلنا في زمان الهرولة . .

ووقفنا بالطوابير ، كأغنام أمام

المقصلة . .

وركضنا . . ولهثنا . .

وتسابقنا لتقبيل حذاء القتلة . .

(٣)

جوعوا أطفالنا خمسين عاما

ورموا في آخر الصوم إلينا . .

بصلة . .

(٤)

سقطت غرناطة

ـ للمرة الخمسين ـ من أيدي العرب

سقطت التاريخ من أيدي العرب

سقطت أعمدة الروح . . وأفخاذ

القبيلة . .

سقطت كل مواويل البطولة . .

سقطت إشبيلية ..

سقطت إنطاكية . .

سقطت حطين من غير قتال

سقطت عموريا

سقطت مريم في أيدي المليشيات



فما من رجل ينقذ الرمز السماوي

ولا ثم رجولة . .

(٥)

لم يعد في يدينا . .

أندلس واحدة نملكها

سرقوا الأبواب ،

والحيطان ،

والزوجات ، والأولاد ،

والزيتون ، والزيت ،

وأحجار الشوارع

سرقوا عيسى بن مريم

وهو ما زال رضيعاً

سرقوا ذاكرة الليمون . .

والمشمش . . والنعناع منا

وقناديل الجوامع . .

(٦)

تركوا علبة سردين بأيدينا

تسمى ((غزه))

عظمة يابسة تدعى ((أريحا)) . .

فندقا يدعى فلسطين . .

بلا سقف ولا أعمده . .

تركونا جسداً دون عظام

ويداً دون أصابع . .



(٧)

لم يعد ثمة أطلال لكي نبكي عليها
كيف تبكي أمة . .
أخذوا منها المدامع .؟

(٨)

بعد هذا الغزل السري ، في أوسلو
خرجنا عاقرين . .
وهبونا وطناً أصغر من حبة القمح . .
وطناً نبلعه من غير ماء
كحبوب الأسبرين ! ! . .

(٩)

بعد خمسين سنة . .
نجلس الآن على الأرض والخراب . .

(١٠)

بعد خمسين سنة . .
ما وجدنا وطناً نسكنه
إلا السراب
ليس صلحاً . .
ذلك الصلح الذي أدخل كا الخنجر



فينا . .

إنه فعل اغتصاب ! !

(١١)

ما تفيد الهرولة ؟

ما تفيد الهرولة ؟

عندما يبقى ضمير الشعب حياً

كفتيل القنبلة . .

لن تساوي كل توقيعات أوسلو . .

خر دله ! ! . .

(١٢)

كم حلمنا بسلام أخضر

وهلال أبيض

وببحر أزرق

وقلوع مرسله . .

ووجدنا فجأة أنفسنا

في مزبلة ! !

(١٣)

من ترى يسألهم

عن سلام الجبناء ؟

لا سلام الأقوياء القدرين



من ترى يسألهم ؟

عن سلام البيع بالتقسيط ،

والتأجير بالتقسيط . .

والصفقات . .

والتجار . . والمستثمرين ؟

من ترى يسألهم ؟

عن سلام الميتين . .

أسكتوا الشارع . .

واغتالوا جميع الأسئلة . .

وجميع السائلين . .

(١٤)

وتزوجنا بلا حب . .

من الأنثى التي ذات يوم ، أكلت

أولادنا . .

مضغت أكبادنا . .

وأخذناها إلى شهر العسل

وسكرنا . . ورقصنا . .

واستعدنا كل ما نحفظ من شعر

الغزل

ثم أنجبنا ـــ لسوء الحظ ـــ أولاداً

معاقين

لهم شكل الضفادع

وتشردنا على أرصفة الحزن ،

فلا من بلد نحضنه . .

أو من ولد ! !



(١٥)

لم يكن في العرس رقص عربي

أو طعام عربي

أو غناء عربي

أو حياء عربي

فلقد غاب عن الزفة أولاد البلد

(١٦)

كان نصف المهر بالدولار . .

كان نصف الخاتم الماسي بالدولار . .

كانت أجرة المأذون بالدولار ..

والكعكة كانت هبة من أمريكا . .

وغطاء العرس ، والأزهار ، والشمع ،

وموسيقى المارينز . .

كلها قد صنعت في أمريكا . .

(١٧)

وانتهى العرس . . ولم تحضر

فلسطين الفرح

بل رأت صورتها مبثوثة عبر كل

الأقنية . .

ورأت دمعتها تعبر أمواج المحيط . .

نحو شيكاغو . . وجيرسي ..



وميامي . .

وهي مثل الطائر المذبوح تصرخ :

ليس هذا العرس عرسي . .

ليس هذا الثوب ثوبي . .

ليس هذا العار عاري . .

أبداً . . يا أمريكا . .

أبداً . . يا أمريكا . .

أبداً . . يا أمريكا . .

الوحدة العربية

وكان نزار وطنياً وحدوياً قومياً وصل حبه للوطن إلى درجة العشق وقد كانت كل قصائده النضالية هي ملاحم عشق لهذا الوطن . . والوطن عند نزار هو الحبيبة والحبيبة عن نزار هي الوطن . . كلاهما الحب والعشق والحضن والحنان والأمان والسند . . وقد عبر عن حالات العشق الوطني قائلاً في قصيدة ((مع الوطن في زجاجة براندي)) :

- عندما أشرب الكأس الأول

أرسم الوطن دمعة خضراء

وأقلع ثيابي

واستحم فيها

- عندما أشرب الكأس الثانية

أرسم الوطن على شكل امرأة جميلة

وأشنق نفسي بين نهديها

- وعندما أشرب الكأس الثالثة

أرسم الوطن على شكل سجن

أقضي به عقوبة الأشعار الشاقة المؤيدة

- عندما تفقد الزجاجة ذاكرتها

أرسم الوطن على شكل مشنقة

تتدلى منها قصائدي في احتفال مهيب

الشاعر . . والجماهير العربية

وكان دائماً يراهن على الشعب ويؤمن بنبض الشارع العربي وقوة فعل الجماهير العربية التي تزلــزل العروش وتسقط الحكومات وتهزم الإمبراطوريات . . لذلك فقد صدم نزار في الشارع العربي الــذي خيم عليه الصمت وران عليه الهوان وأصيب بالخرس والعقم والجدب والجفاف :

لقد مر عشرون عاماً علينا

لقد مر عشرون عام

ولا نجم يسطع . .

لا أرض تحبل . .

لا قمح يطلع من تحت هذا الركام

ولا غيمه ماطرة

فهل نسي الشارع العربي الكلام

وصرنا شعوباً بلا ذاكره[٦]

لقد سئم نزار من السكوت والصمت الذي يلف الأرض العربية رغم كل المعاناة وكل المآسي التي تملأ الساحات العربية ورغم سقوط القتلى والجرحى في صبرا وشاتلا ومرج عيون . . ومرج الزهور . . والكرامة . . والجنوب اللبناني :

لقد مر عشرون عام

نسينا بها عبق الياسمين

وصوت المطر

تخاف العصافير منا

ويضجر منا الضجر

إلى أن أخذنا

ــ مع الوقت ــ شكل الحجر[٧]

[٦] ـ ديوان ((تزوجتك أيتها الحرية)) نزار قباني ص ١١٦ .



لقد أصبحت البلاد وانعدام الإحساس شيئاً طبيعياً وعادياً حتى تحجرت القلوب والمشاعر :

لماذا الجماهير

بين المحيط وبين الخليج

تجوب الأزقة بالقطط الخائفة

وأين هو الشارع العربي

الذي كان يمضغ لحم الطغاة

ويخترع العاصفة [٨]

الشارع العربي هو الذي أشعل كل الأرض العربية ناراً في وجه استعمار الفرنسي في الجزائر . . والشارع العربي هو الذي حشد العرب صفاً واحداً في حرب ١٩٥٦ والشارع العربي هو الذي نصر أكتوبر وكتب سطور ملحمة العبور العظيم . . وهو أيضاً الذي قاد كل المعارك السياسية وأهمها معركة البترول التي تزعمها الملك فيصل . . والشارع العربي هو الذي حشد طاقات كل العمال العرب أثناء أزمة الباخرة المصرية كليوباترا . والشارع العربي هو الذي أبقى عبد الناصر في موقعه عندما قرر التنحي عقب النكسة وطالبه باستمرار مسيرة إزالة آثار العدوان . لذلك يكرر الشاعر صراخه وأنينه من أجل ذلك الشارع العربي :

ونحن هنا . .

نتناسل مثل الزواحف في الغرف المقفلة

فأين هو الشارع العربي

الذي كان يبصق نارا

ولا يعرف الفرق بين القصيدة والقنبلة [٩]

ويعود الشاعر ليصدمه الواقع المرير :

لقد مر عشرون عام

ونحن توابيت مصنوعة من رخام[١٠]

ومرة أخي يصفهم بالعظام البالية :

وأشهد أني

---

[٧] ـ المصدر السابق ص ١٢٥.

[٨] ـ ديوان ((تزوجتك أيتها الحرية)) نزار قباني ص ١١٧.

[٩] ـ المرجع السابق ص ١٢٠ .

[١٠] ـ المرجع السابق ص ١٢١.



قرأت السلام على كل أهلي

ولكنهم لم يردوا السلام

فهل كنت أقرأ شعري

على كومة من العظام[11]

وفي قصيدة ((الثقب)) يعزي هذه الجماهير العربية المترهلة المتهرئة المليئة بالثقوب والهنات والجراح والتي خبت فيها نار المقاومة وخمدت في عروقها الدماء.

الهوامش

١ـ الأدب العربي المعاصر في سوريا / د. سامي الكيالي ط ٢ ـ دار المعارف مصر ١٩٦٧.

٢ـ الأدب العربي المعاصر في فلسطين ـ د. كامل السوافيري .

٣ـ الأعمال النثرية الكاملة ـ منشورات نزار قباني ، بيروت ١٩٩٧ .

٤ـ تزوجتك أيتها الحرية منشورات نزار قباني ؛ ط١ ، ص١١٧ / ١٢٤ .

٥ـ ديوان إبراهيم طوقان ؛ ص٨٧.

٦ـ الشعراء بين الحربين ؛ ص ٢٩٢/٢٧٧.

٧ـ ديوان طفولة نهد ـ منشورات نزار قباني ، بيروت ١٩٧٣.

٨ـ الضوء واللعبة ـ شاكر النابلسي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨٦.

٩ـ القصائد المغضوب عليها ، نزار قباني ،ص٤٨.

١٠ـ انظر ديوان هوامش على دفتر النكسة ـ منشورات نزار قباني ؛ ص

١١ـ نزار القباني (قصتي مع الشعر) .

١٢ـ نزار قباني وعمر ابن آبي ربيعه ـ دراسة في فن الموازنة ، دار النهضة مصر القاهرة ١٩٧١.

١٣ـ نزار قباني والشعر السياسي ، احمد تاج الدين ، الدار الثقافية للنشر ، ط ١ ٢٠٠١م .

١٤ـ شعراء فلسطين العربية ، إبراهيم عبد الستار ؛ ص٢.

[11] ـ المرجع السابق ص ١٢٨.



خلاصة البحث

لقد اعتاد النقاد على النظر إلى نزار القباني على انه شاعر الغزل أو شاعر النساء متناسين انـه شاعر بكل ما تعنيه كلمة الشاعرية لذلك أدرت بحثي على كل ما يتصل بهذه الشاعرية المتدفقة فتناولت المراحل التي مر بها شعر القباني . مرحلة ما قبل نكسة حزيران ومرحلة ما بعدها فـرأيتم شـاعرا للنساء أو الغزل ونصيب الإغراض الأخرى لم تشغله الإحداث الوطنية كثيرا ولكنه لم يكن بعيدا عنها اعني نكبة دمشق او نكبة فلسطين أو العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٦٥ لكنه بعد هذه المرحلـة الطويلة أصبح شاعرا وطنيا أثرت في شعره نكسة سنة ١٩٦٧ م وسلط نقمته على الرئيس جمال عبد الناصر في قصيدته المشهورة (دفتر على هوامش النكسة) وجه نقده إلى الرئيس جمال عبد الناصـر والى الحكام العرب ثم توجه نزار بعد وفاة الرئيس عبد الناصر تحولا مفاجئا فتنـاول فـضائل عبـد الناصر نادما على نقده وتحامله الذي جر عليه المصائب صحا بها نزار من غفوته وصب اللوم على الحكام العرب وتقصيرهم إزاء الإحداث الوطنية فجاء هذا البحث طويلا يمثل جميع المراحل التي مر بها نزار في حياته الشعرية . وخلصت إلى انه بحق شاعر المرأة والسياسة شانه شان كـل الـشعراء حين يتفاعلون مع الإحداث فجاء بمقدمة ومباحث تجسد هذه المراحل وتعـرض النمـاذج الـشعرية بدراسة فنية مستفيضة فنزار شاعر يتغنى بما يحيط به وما يدور من حوله ولا ينبغي النظر إليه على انه مقتصر في التفاعل مع الإحداث الوطنية الكبرى التي مرت بها الأمة العربية .

THE BACKGROUNDS OF NAZAR GABANI'S POLITICAL POETRY

BY

Dr. FADHIL MUHAMMED ABDULLAH AL-ZUBAIDI

(Abstract)

Critics are used to viewing Nazasr Al Qabani as a courtship poet or women poet ignoring the fact that he is a poet in all the sense of the word . thus I directed research towards all they what is related to this rich poetics . so I dealt with the periods which Al Qabani poetry went through . The period that preceded and followed Junes setback , and I found him a courtship and women poet and the national events did not occupy his attention a lot but he was not far away from it . I mean Damascus set back or Palatine[s] setback or the tripartite aggression in 1956 , but after this long period , he became a national part whose poetry became affected by 1967 setback and he directed his range towards the president Jamal Abdula Nasar in his famous poem "A notebook about the Setbacks margins" . He directed his criticism towards the policy of the president Jamal and the Arab leaders, but after the death of Abdula Nasir he shifted suddenly by tackling the virtues of Abdula Nasir regretting his criticism and rage towards him by a new period began in which he was awakened and directed the blame towards the Arab leaders and their neglect in the national events . so this research came to represent all the periods which Al-Qabani went through in his poetic life. I reached at the fact that he is really the poet of women and politics as well as the other poets who interacted with the events.

